الوهابيّة

أو العقل المستقيل

بحث مقدم الى المؤتمر العالمي التكريمي للعلامة البلاغي
الذي عقد في قم، عام ٢٠٠٨ م. وكان بعنوان
(العلامة البلاغي والوهابية)

هادي الخزرجي

الوهابيّة

أو العقل المستقيل

بحث مقدّم إلى المؤتمر العالمي التكريمي للعلامة البلاغي، الذي عقد في قم، عام ٢٠٠٨م، وكان بعنوان (العلامة البلاغي والوهابية)

هادي الخزرجي

هوية هذا المطبوع

الإسم: الوهابية أو العقل المستقيل

الكاتب: هادي حسين الخزرجي

سنة الطبع: ١٤٣٠ هـ - ٢٠٠٩ م

عدد النسخ: ٢٠٠٠

التنضيد: شركة المارد العالمية

المطبعة: النجف الاشرف

الطبعة: الثانية مزيدة ومنقحة

الإهداء

إلى الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه..

إلى الذين يستقبلون وجوه الآراء

ولا يكتفون بالوجه الواحد..

إلى الـــذين يَتّخـــذون الحـــوار منهجـــاً في حياتهم..

وينبذون التعصب وراءهم ظهرياً،

ليعانقوا الحق والحقيقة في نهاية المطاف..

إلى هؤلاء الأحبة جميعاً.

أقدم مجهودي القليل الضئيل هذا.

توطئة وتقديم

﴿يُرِيدُونَ لِيُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَاللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ﴾[1].

بعد أن وضعت الحربُ الصليبية أوزارها، التي دامت سجالاً بين الإسلام وأعدائه طوال قرنين من الزمن، حتى انتصر التوحيد على التثليث، وتم اندحار الغزاة الأوربيين، وانهزام فلولهم عبر البحار.. بفضل جهاد أهل العقيدة والإيمان من حماة رسالة القرآن..)[2] إلاّ أنَّ الهزيمة التي منيت بها أوربا في ميادين الحروب لم تقعدها عن تكرار المحاولة لمواجهة الإسلام والمسلمين، ولكن بأسلوب آخر غير القوة والحرب، فقامت بتأسيس الجمعيات والأحزاب العلمانية والمدارس التعليمية والخدمات الإنسانية وغير ذلك، وهي في الحقيقة

---

(١) سورة الصف/٨.

(٢) من مقدمة الأستاذ المحامي المحقق توفيق الفكيكي لكتاب (الهدى إلى دين المصطفى) للعلامة البلاغي ص٣.

والواقع مؤسسات تبشيرية تمهد للسيطرة الاستكبارية على بلدان المسلمين والعرب، ومنع انطلاقهم وتقدمهم على أساس عقيدتهم.

وكان الهدف الأول الذي حَدّدوه لمؤسساتهم وجهودهم ومخططاتهم هو "**تحويل المسلمين إلى نصارى**" إلا إنهم فشلوا في تحقيق هذا الهدف! فرسموا لأنفسهم هدفاً آخر ممكناً، وهو "**تحويل المسلمين عن إسلامهم**" وزعزعة ثقتهم بدينهم ونبيّهم وكتاب ربهم، (ويعترف المبشرون بان التبشير الرسمي واكتساب المسلمين الى صفوف النصرانية قد خاب. من أجل ذلك قنع هؤلاء المبشرون أَنْ يكون عملهم الإنساني قاصراً على زعزعة عقيدة المسلمين على الأقل)[1] ونفهم من ذلك بوضوح أَن بواعث التبشير ليس هو الإصلاح والحياة الروحية والأخلاقية كما يقولون، وإنما هو الإفساد والإضلال والتمهيد لسيطرة الدول

---

(1) التبشير والاستعمار في البلاد العربية للدكتور مصطفى خالد والدكتور عمر فرّوخ ص٤٦.

الاستكبارية على الشعوب! إلاّ أن الطبيعة -كما يقول الفيزيائيون-تأبى الفراغ، وهذه القاعدة كما أنها صادقة فيزيائياً، كذلك صادقة اجتماعياً.

والساحة الاجتماعية في كل امتداداتها وتعددها لم تخل من رجال مصلحين كبار، نذروا أنفسهم للحق والحقيقة وللدين والعلم، فقاموا بصد التيارات التبشيرية الضالة، وجرّدوا أقلامهم، فكتبوا الكتب في تبيان العقائد الحقة، وتزييف الأفكار الضالة المنحرفة البائسة، من أمثال (جمال الدين الأفغاني) و(الشيخ محمد عبدة) و(محسن الامين) و(محمد حسين كاشف الغطاء) و(رشيد رضا) و(عبد الرحمن الكواكبي) و(عبد الحسين شرف الدين) و(روح الله الموسوي الخميني) و(الشهيدين الصدرين) وغيرهم من العمالقة، الذين تسلحوا بسلاح العلم والإيمان، ومعرفة الواقع الذي يعيشه العالم..

وأما في الساحة العراقية فقد برز لأعداء الإنسانية والدين عدة من العلماء العاملين الربانيين

المخلصين من المدرستين؛ مدرسة الإمامة ومدرسة الصحابة، وكان في المقدمة من هؤلاء الذين اختارهم الله للنزال الفكري هو العلامة المجاهد آية الله الشيخ (محمد جواد البلاغي)، الذي جَرَّد قلمه، وخاض الكفاح الثقافي الفكري ببطولة مميزة في عدة محاور:-

١- المحور الأول: مناقشة الديانات السابقة على الإسلام لاسيما اليهودية والنصرانية مناقشة علمية من مصادرها، وإظهار ما فيها من تلاعب وانحراف وزيف!

٢- المحور الثاني: تفنيد آراء المادّيين والطبيعيين والدهريين، واثبات أحقية عقيدة التوحيد!

٣- المحور الثالث: الرد على شبهات المستشرقين، والوقوف في وجه حملات التبشير الضالّة..

٤- المحور الرابع: الرد على فِرَق الضلال التي زُرِعَت خصيصاً- وفق خطةٍ مدروسة- داخل

الكيان الإسلامي كالبابية والقاديانية والبهائية والوهابية[1]..

وقد نجح شيخنا البلاغي أيمّا نجاح، في هذه المحاور الأربعة جميعاً، وكان متألقاً فيها، لأنه توفر مسبقاً على عوامل النجاح والتفوّق فيما كتب وصنَّف، وقد قيل: ((ولا تقعنَّ في البحر إلاّ سابحاً!))، فهو بالإضافة إلى براعته ودقته في الفقه والأصول والفلسفة والعقائد وعلوم القرآن، التي أخذها على يد كبار علماء عصره، كان يتقن من اللغات: الإنجليزية والفارسية والعبرية إضافةً للغته الأم اللغة العربية، فإذا أضفنا إلى ذلك علمه بزمانه وعصره أفكاراً ومؤسساتٍ وكيانات سياسية ورجالاً، والإمام جعفر بن محمد عليه السلام يقول: (العالم بزمانه لا تهجم عليه اللوابس)[2]، إذا أضفنا هذا إلى ذاك عرفنا سر نجاحه الباهر

---

(1) من بحث بعنوان (الملامح العامة لنهج الشيخ البلاغي في نقد الفكر الديني) لثامر النصراوي ص١٥-١٦.

(2) وسائل الشيعة للحر العاملي/ج١٨/ص١١١.

وتألقه في مصنفاته التي بقيت إلى يومنا هذا موضع اهتمام الباحثين، وهي تمثل تلبيةً لحاجات الواقع المعيش أمس، وتمثل تلبيةً لحاجات الواقع المعيش اليوم، وستبقى إلى أمدٍ بعيد في المستقبل تلبي حاجات الواقع! حتى يأذن الله للمصلح العالمي المنقذ بالظهور!

وفي بحثنا (العلامة البلاغي والوهابية) الذي اخترناه لهذا المؤتمر العالمي التكريمي لهذا العالم الجليل سنتناول آراءه وردوده التي أبداها على عقائد الوهابيين بالقدر الذي يتسع له المجال، كما سنضيف إلى ذلك بعض آراء الآخرين ممن عاصره من العلماء، أو ممن جاء بعده، لإلقاء المزيد من الضوء والوضوح والجلاء، لتكون الحقائق بين يدي جيلنا المعاصر، كما سنشير إلى بعض الممارسات البعيدة والغريبة عن قيم ومثل الإسلام، التي قام بها هؤلاء الوهابيون (السلفيون التكفيريون)، في مختلف الساحات، لاسيما في الساحة العراقية، وقبل هذا وذاك سنقدّم بعض

المقدمات الضرورية التي لابد منها، ..فأن كنت قد وفّقت فهو من الله ﴿وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ رَمَى﴾[1]، وان كان خلاف ذلك فأرجو من أخواني الأحبة والقراء النابهين أنْ يرشدوني إلى الصواب، وقد جاء في الحديث الشريف: (أحبُّ إخواني إليَّ من أهدى إليَّ عيوبي)[2].

ومما تقدم ومما يأتي تتضح المبررات التي دفعتنا لاختيار هذا البحث بالذات:-

١- فهو - الفكر الوهابي - فكر ضال منحرف مظلم موجه مغرض، فينبغي مواجهته بالفكر الحضاري النيّر المهتدي بهدى الله.

٢- وهو فكر تكفيري، يقتل على أساسه الآلاف من أبناء أمة الإسلام شيعة وسنة، وتنتهك أعراضهم، وتسلب أموالهم، فيجب أن يقدم إسلام المحبة والتسامح، الذي يحترم الإنسان في دمه وماله وعرضه وكافة شؤونه.

---

(١) الأنفال: ١٧.

(٢) سنن الدارمي لعبد الله الدارمي/ج١/ص١٦٠.

٣- وهو فكر تعود جذوره الخبيثة إلى كهوف التاريخ المظلمة، أيام (ابن تيمية) وتلميذه (ابن القيم الجوزية)، يستخدمه أعداء الإسلام لضرب الإسلام من الداخل، وإبعاد البشرية - القلقة الحائرة التائهة الطالبة للنجاة - عنه، ولاسيما أبناء الإسلام، ضمن خطة الصليبيين الماكرة، بعد فشلهم عسكرياً، للسيطرة على العالم الإسلامي والعربي، من اجل سيادة الحضارة الغربية البعيدة عن الله! وهيهات ﴿وَمَنْ لَمْ يَجْعَلْ اللَّهُ لَهُ نُورًا فَمَا لَهُ مِنْ نُورٍ﴾[1]

إضاءات وتذكير قبل الدخول في البحث

١- لاشك بأنَّ الإنسان هو أكرم المخلوقات عند الخالق المتعال ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنْ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلاً﴾[2] ومن

---

(١) سورة النور: ٤٠.

(٢) سورة الإسراء: ٧٠.

أجل إسعاد هذا المخلوق وخدمته وهدايته أرسل الله الأنبياء جميعاً، وأنزل الكتب السماوية كافة ولاسيما إذا كان هذا المخلوق المكرّم مؤمناً فهو الأثير عند الله، لأنه المستجيب لتعاليم ربه، المطيع لأوامره، والمنتهي عن نواهيه، والسائر في حياته على ضوء منهجه القويم، ولهذا كان مصون الدم والمال والعرض، وقد جاء في كتاب الله العزيز ﴿وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ وَأَعَدَّ لَهُ عَذَابًا عَظِيمًا﴾[1]، كما جاء في حديث (عبد الله بن عمر) قال: قال النبي ﷺ بمنى: (أَيُّ يوم هذا؟ قالوا: الله ورسوله أعلم،فقال: فأن هذا يوم حرام، أفتدرون أَيَّ بلد هذا؟ قالوا: الله ورسوله أعلم، قال: بلد حرام، أفتدرون أَيَّ شهر هذا؟ قالوا: الله ورسوله أعلم، قال: شهر حرام، قال: فأن الله حَرَّم عليكم دماءكم وأموالكم وأعراضكم كحرمة يومكم

---

(1) سورة النساء: ٩٣.

هذا، في شهركم هذا، في بلدكم هذا)[1] ولهذا كان رسول الله ﷺ وأئمة الإسلام وقادته من بعده يرون أن حرمة الإنسان المؤمن أعظم من حرمة بيت الله الحرام سبعين مرة!! فإذا كان الأمر كذلك كيف يُستسَهل ويُسترخص سفك دمه، وانتهاك عرضه، ونهب أمواله، كما يفعل بعض أدعياءُ الإسلام في أيامنا هذه؟!

وقد جاء في رسالة وجهها المرجع الديني الأعلى السيد السيستاني إلى الشعب العراقي إثر وقوع الكارثة الكبرى بتفجير مرقد الإمامين العسكريين، وحول الفتنة الطائفية الأهلية، هدفهم المبتغى، جاء في الرسالة:- (.. أناشد كل المخلصين الحريصين على وحدة هذا البلد، ومستقبل أبنائه من أصحاب الرأي والفكر والقادة الدينيين والسياسيين وزعماء العشائر وغيرهم، بان يبذلوا قصارى جهودهم في سبيل وقف هذا المسلسل الدامي الذي لو استمر- كما يريده الأعداء - فلسوف يلحق ابلغ الضرر

---

(1) صحيح البخاري ح١٧٤٢ نقلا عن كتيب (خطب ومواعظ في حجة الوداع) لعبد الرزاق البدر ص٣٧.

بوحدة هذا الشعب، ويعيق لأمد بعيد تحقق آماله في التحرر والاستقرار والتقدم.. واذكّر الذين يستبيحون دماء المسلمين، ويسترخصون نفوس الأبرياء، لانتماءاتهم الطائفية بقول النبي الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم :- (من أعان على قتل مسلم بشطر كلمة لقيَ الله عز وجل يوم القيامة مكتوب بين عينيه:- آيس من رحمة الله!).

وأخاطب الذين يستهدفون المدنيين العزل والمواطنين المسالمين بما قاله أبو عبد الله الحسين عليه السلام في يوم عاشوراء مخاطباً من راموا الهجوم على حرمه:- (إن لم يكن لكم دين، وكنتم لا تخافون المعاد فكونوا أحراراً في دنياكم، وارجعوا إلى أحسابكم إن كنتم عرباً كما تزعمون..)[1].

٢- إنَّ الاختلاف بين الناس في الرؤى أمر طبيعي، وكتاب الله المجيد يُقر هذه الحقيقة، حيث يقول: ﴿وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلاَ يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ، إِلاَّ مَنْ رَحِمَ رَبُّكَ وَلِذَلِكَ

---

(١) النصوص الصادرة عن سماحة السيد السيستاني في المسألة العراقية، أعداد حامد الخفاف، ص١٥٥-١٥٦.

خَلَقَهُمْ﴾[1] فعلينا أنْ نتقبل هذه الحقيقة بروحٍ رياضية كما يقولون، وعلينا أن نتقبل الآخر وإنْ اختلفنا معه، وليس معنى قبول الآخر هو أَنْ نأخذ بآرائه ونستسلم له! وإنما معناه أَن نحترم الآخر الذي يختلف معنا ونختلف معه.. معناه احترامه كإنسان، ونضع الأمور التي نختلف فيها على طاولة النقاش الهادئ والحوار، إن كان ذلك ضرورياً، ونؤكد على نقاط الالتقاء وهي موجودة وكثيرة، ولا نلجأ إلى الإلغاء والشطب والمصادرة والعنف، ولا نلجأ إلى التكفير والتضليل والاتهام بالمروق من الدين، لعدم استطاعة أَيِّ طرف من الأطراف الادعاء بأنه يمتلك الحقيقة المطلقة، فيما يرى! بينما ينظر إلى الآخرين على أنهم أصفار في جهة الشمال!

٣- علينا كمسلمين أن ننظر إلى أنفسنا نظرة ورؤية الإسلام إلينا، إنَّ الإسلام يرى المسلمين جميعاً

---

(١) سورة هود: ١١٨.

أمة واحدة، مهما اختلفت لغاتها وقومياتها وبلدانها وطبقاتها وأجناسها، وليسوا أمماً متعددة، يقول كتاب الله الكريم: ﴿إِنَّ هَـٰذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ﴾[1] وعليه فلا فضل لأحد على أحد، ولا فضل لجماعة على جماعة، ولا لعنصر على عنصر إلاّ بالتقوى، وإلا بمقاييس التفاضل الأخرى التي قررها منهج الله.

وتأسيساً على ذلك يجب أَنْ يكون خطابنا خطاباً إسلاميا، موجهاً إلى كل أبناء الأمة، وليس خطاباً طائفياً أو عنصرياً أو مناطقياً، وهذا أبو عبد الله الحسين يقول حينما قام بنهضته الإسلامية المباركة عام ٦١هـ (إني لم أخرج أشراً ولا بطراً ولا مفسداً ولا ظالماً، وإنما خرجتُ لطلب الإصلاح في أُمةِ جدي..)[2] فهو إذن يطلب الإصلاح في (أمةِ جده) وهي الأمة الإسلامية جمعاء بكل مكوناتها

---

(١) سورة الأنبياء ٩٢.

(٢) البحار، ج٤٤،ص٣٢٩، رواية ٣، باب ٣٧.

المتعددة، وليست طائفة معينة منها، أو قومية محددة منها، يقول الشاعر:-

لعمرك ما الإنسان إلا بدينه

فلا تترك التقوى اتكالاً على النسب

لقد رفع الإسلام سلمانَ فارسٍ

وقد وضع الشركُ النسيبَ أبا لهب

واستناداً إلى ذلك يجب أَنْ نحرص أَشَدَّ الحرص على الممارسات الوحدوية مع كل أبناء امتنا الإسلامية، بقدر ما يسعى الأعداء والسائرون في ركابهم على تفريق وتمزيق الأمة، لأجل تحقيق مصالحهم ومطامعهم، قال الله تعالى: ﴿وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلاَ تَفَرَّقُوا﴾[1]، ويقول رسول الله ﷺ: (بُنيَ الإسلام على دعامتين: توحيد الله ووحدة الكلمة)[2]، فهل نكون بمستوى ما يريده منا ربنا العظيم ونبيّنا الكريم؟!

---

(١) آل عمران: ١٠٣.

(٢) حياة الشيخ الأنصاري، مقدمة المكاسب، ص٢٠/طبع مركز المصطفى ﷺ.

ولقد دعا إلى هذه الوحدة علماء الأمة الصادقين المخلصين جميعاً، يقول الأمام الخميني- الراحل الذي لم يرحل-: (لقد ذكرتُ مراراً أَنَّ الأهمية ليست للعنصر واللغة والقومية والإقليم في الإسلام، فجميع المسلمين – سنة كانوا أم شيعة – هم أخوة متكافئون متساوون في المزايا والحقوق الإسلامية،.. لقد جاء الإسلام ليوحد جميع شعوب العالم من عرب وعجم وترك وفرس، وليقيم في هذا العالم أُمةً عظيمة هي الأمة الإسلامية)[1]، ويقول أيضاً: (إنَّ واجب المسلمين اليوم يتركز في وحدة الكلمة، يجب أَن تكون كلمة المسلمين واحدة)[2] فالوحدة الإسلامية تمثل أساساً استراتيجياً مهماً في توجهات كافة علماء الإسلام، الذين فقهوا دينهم، وعلموا بزمانهم، لأنها –الوحدة– في

---

(١) ثورة الفقيه ودولته قراءات في عالمية مدرسة الإمام الخميني أعداد وحوار (حميد حلمي زادة) ص١٤٧.

(٢) ثورة الفقيه ودولته قراءات في عالمية مدرسة الإمام الخميني أعداد وحوار (حميد حلمي زادة) ص٤٧٢.

الصميم من منهج الله المتمثل في الإسلام، وقادته العظام الذين جَسّدوه ممارسة في حياتهم، وعليه فأن من يسعى إلى تمزيق وتفريق الأمة الواحدة ليس من الله ومن الإسلام في شيء، تحت أيِّ شعار كان التفريق والتمزيق، حتى ولو كان باسم الإسلام، حتى ولو كان باسم التوحيد الخالص! قال الله تعالى: (إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعًا لَسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ)[1]، وهذا علي القرآن والحق يقول: (الزموا السوادَ الأعظم، فأن يد الله مع الجماعة، وإياكم والفرقة، فأن الشاذ من الناس للشيطان، كما أَنَّ الشاذ من الغنم للذئب، ألا ومن دعا إلى هذا الشعار - الفرقة- فاقتلوه ولو كان تحت عمامتي هذه)[2].

ويقول الإمام الشهيد السعيد - الراحل الذي لم يرحل- السيد محمد باقر الصدر في بيانه الثالث لشعبه العراقي، قبيل استشهاده المفجع: (وأني منذ عرفت

---

(1) الأنعام: ١٥٩.

(2) نهج البلاغة: الخطبة ١٢٣.

وجودي ومسؤوليتي في هذه الأمة، بذلت هذا الوجود من أجل الشيعي والسني على السواء، ومن أجل العربي والكردي على السواء، حين دافعت عن الرسالة التي توحدهم جميعاً، وعن العقيدة التي تضمهم جميعاً، ولم أعش بفكري وكياني إلا للإسلام طريق الخلاص، وهدف الجميع.. يا أخوتي وأبنائي من أبناء الموصل والبصرة، من أبناء بغداد وكربلاء والنجف، من أبناء سامراء والكاظمية، من أبناء العمارة والكوت والسليمانية، من أبناء العراق في كل مكان، أني أعاهدكم بأني لكم جميعاً، ومن أجلكم جميعاً، وأنكم جميعاً هدفي في الحاضر والمستقبل، فلتتوحد كلمتكم، ولتتلاحم صفوفكم تحت راية الإسلام..)[1].

---

(1) شهيد الأمة وشاهدها، ج٢، ص١٩٠، الشيخ محمد رضا النعماني، الذي كان ملازماً للشهيد السعيد الخالد السيد محمد باقر الصدر.

العلّامة البلاغي والوهابيّة

أساليب وأهداف تتغير بتغير الظروف، والبداية التي أطلقت شرارة الفكر الوهابي

بعد فشل الحروب الصليبية المدمرة على عالمنا العربي والإسلامي عاود الأعداء هجومهم، ولكن بأسلوب آخر غير أسلوب القوة والحرب، عاودوا الهجوم بأسلوب الغزو الثقافي الفكري العقائدي، عاودوا الهجوم من داخل كيان الإسلام والمسلمين لزعزعة ثقة المسلمين بدينهم ونبيهم وكتاب ربهم، كما ألمحنا إلى ذلك سابقاً، من خلال إيجاد فِرقٍ دينية منحرفة ضالة، وإيجاد أحزاب ومنظمات وجمعيات ومؤسسات علمانية بعيدة عن مفاهيم وثقافة الإسلام، ومن خلال إيجاد حكومات ديكتاتورية عميلة لهم تقمع الشعوب، وتنحني للأسياد، أشداء على الشعوب، رحماء مع الأسياد، ومن خلال إشاعة التعصب الطائفي والديني والقومي، وإشاعة الجهل والتخلف والعنف.

إنَّ اتخاذ هذه الأساليب إنما تم بعد دراسات دقيقة شاملة من لجان شُكِّلت ومن خلال أشخاص مرتبطين بهم أُرسِلوا ومكثوا أعواما طويلة داخل بلداننا، إنَّ تلكم الأساليب ومنها (إيجاد فِرق دينية مذهبية منحرفة ضالة) كانت تستهدف ما يلي:

١- منع بروز الإسلام الحضاري المستنير، المجاهد العامل الفاعل الأول لنهضة الأمة وقوتها وعزتها وسيادتها، كما لمسوا ذلك من خلال التجارب الميدانية، ومن ثم تشويه عقيدة التوحيد وتشويه صورة الإسلام الحقيقية!

٢- لمنع توحد المسلمين والعرب والإمعان في تمزيق وتجزئة بلدانهم وحكوماتهم لإدامة السيطرة عليها ونهب خيراتها المادية سواء تلك الموجودة في باطن الأرض أو على ظهرها، ومنها الذهب الأسود النفط.

٣- تحويل بلدان المسلمين والعرب إلى أسواق استهلاكية لتصريف بضائعهم ومنع تقدمها وازدهارها في المستقبل!

٤- تأمين حالة الأمن لقاعدة الاستكبار العالمي إسرائيل المؤيدة والمدعومة منه بشكل مطلق، لتبقى رأس حربة لهم في المنطقة وقاعدة!

ومن هنا جاءت (الوهابية) الفرقة الشاذة المنحرفة الضالة التي تنسب إلى (محمد بن عبد الوهاب)، (وسميت طريقته باسم أبيه (عبد الوهاب). أما السبب في عدم تسميتها بـ((المحمدية)) نسبة إلى مؤسسها محمد، فهو - كما يقول البعض- للحذر من وقوع التشابه بينها وبين المسلمين أتباع رسول الله محمد صلى الله عليه وآله وسلم والحيلولة دون استغلاله)[1] وأول من وقف ضد (محمد عبد الوهاب) أبوه وأخوه، يقول زيني دحلان- ما معناه-: (.. وكان عبد الوهاب- والد

---

(١) الوهابية في الميزان لجعفر السبحاني ص١١ نقلاً عن دائرة معارف القرن العشرين لفريد وجدي ٨٧١/١٠.

الشيخ محمد- رجلاً صالحاً من أهل العلم، وكان الشيخ سليمان - أخو محمد — من أهل العلم أيضاً، وبما ان الشيخ عبد الوهاب والشيخ سليمان كانا من بداية الأمر - أي من يوم كان محمد يواصل دراسته في المدينة المنورة- على علم بأفكاره الشاذّة، لذلك كانا يلومانه على أقواله، ويُحذّران الناس منه..)[1].

وقد كتب الشيخ سليمان كتاباً بعنوان: (الصواعق الإلهية في الرد على الوهابية) رد فيه على أباطيل أخيه وخزعبلاته[2]! وتتابعت الردود العلمية على أفكاره وعقائده من علماء المسلمين كافة من المدرستين؛ مدرسة الصحابة ومدرسة أهل البيت عليهم السلام حتى زادت إلى أيامنا هذه على المائتين!!

---

(١) الفتوحات الإسلامية: ٣٥٧/٣ نقلاً عن المصدر المذكور السابق.

(٢) انظر كتاب (الصواعق الإلهية في الرد على الوهابية) لسليمان بن عبد الوهاب.

ومن هذه الردود العلمية على أفكار وعقائد (محمد عبد الوهاب) التي تنطلق من أفكار وعقائد (أحمد بن تيمية) وتلميذه (ابن القيم الجوزية) رد العلاّمة آية الله العظمى الشيخ (محمد جواد البلاغي) الذي جرَّد قلمه بهمة عالية وبصيرة نافذة فكتب كتابين الأول: (دعوة الهدى إلى الورع في الأفعال والفتوى)[1]، والآخر: (الرد على الوهابية)[2].

وقد كانت البداية التي أطلقت شرارة الفكر الضال المنحرف هي الاستفتاء أو السؤال الذي وجههُ (عبد الله بن بليهد) قاضي قضاة الوهّابيين في الحجاز إلى علماء المدينة المنورة، وجواب علماء المدينة على السؤال، وإلى القارئ الكريم فيما يأتي

---

(١) وقد قدم له وحققه العلامة السيد محمد عبد الحكيم الصافي، وطبع في بيروت.

(٢) الذي حققه العلامة السيد محمد علي الحكيم، والذي أشرفت على طبعه مؤسسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث في قم.

نص السؤال: ((بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ، ما قول علماء المدينة - زادهم الله فهماً وعلماً - في البناء على القبور واتخاذها مساجد، هل هو جائز، أم لا؟ وإذا كان غير جائز، بل ممنوعٌ منهيٌ عنه نهياً شديداً، فهل يجب هدمها، ومنع الصلاة عندها، أم لا؟.

وإذا كان البناء في مُسَبَّلَة [1] - كالبقيع - وهو مانع من الانتفاع بالمقدار المبنيّ عليها، فهل هو غَصْبٌ يجب رفعه، لما فيه من ظلم المستحقين ومنعهم استحقاقهم، أم لا؟ وما يفعله الجهال عند هذه الضرائح، من التمسح بها، ودعائها مع الله، والتقرب بالذبح والنذر لها، وإيقاد السُرج، هل هو جائز، أم لا؟

---

(١) سَبَّلَ ضَيعتُه: أي جعلها في سبيل الله.. انظر الصحاح ١٧٢٤/٥: لسان العرب ١٦٣/٦ مادة (سبل) نقلاً عن كتاب(دعوة الهدى..) ص٥٧.

وما يُفعل عند حجرة النبي ﷺ، من التوجه إليها عند الدعاء وغيره، والطواف بها، وتقبيلها، والتمسّح بها..

وكذلك ما يُفعل في المسجد (الشريف) من الترحيم والتذكير بين الأذان والإقامة، وقبل الفجر، ويوم الجمعة، هل هو مشروع، أم لا؟

أفتونا مأجورين، وبيّنوا لنا الأدلة المستند إليها، لازلتم ملجأً للمستفيدين)).

وهذا نص الجواب المنسوب لعلماء المدينة:

((أما البناء على القبور، فهو ممنوع إجماعاً، لصحة الأحاديث الواردة في منعه، وبهذا أفتى كثير من العلماء بوجوب هدمه، مستندين على ذلك بحديث علي رضي الله عنه، انه قال لأبي الهيّاج: (ألا أبعثك على ما بعثني عليه رسول الله ﷺ أن لا تدع تمثالاً ألاّ طمسته، ولا قبراً مُشرفاً إلاّ سوّيته). رواه مسلم[1].

---

(1) صحيح مسلم ٦١/٣ كتاب الجنائز، باب الأمر بتسوية القبر.

وأما اتخاذ القبور مساجد، والصلاة فيها، وإيقاد السُرُج، فممنوع (مطلقاً)، لحديث ابن عباس: (لعن رسول الله ﷺ زائرات القبور، والمتخذين عليها المساجد والسُرُج.)رواه أهل السنة[1].

وأما ما يفعله الجُهّال عند الضرائح، من التمسّح بها، والتقرب إليها بالذبائح والنذور، ودعاء أهلها مع الله، فهو حرام، ممنوع شرعاً، لا يجوز فعله أصلاً.

وأما التوجه إلى حجرة النبي ﷺ عند الدعاء فالأولى منعه، كما معروف من فقرات كتب المذهب، ولأنَّ أفضلَ الجهاتِ جهةُ القِبلَة.

وأما الطواف(بها)، والتمسح بها، وتقبيلها، فهو ممنوع مطلقاً.

---

(1) مسند احمد ٣٣٩/١ و٣٣٧، وسنن أبي داود ٣١٦/٣ ح ٣٢٣٦.

وأما ما يُفعل من التذكير والترحيم والتسليم في الأوقات المذكورة، فهو مُحْدَث. هذا ما وصل إليه عِلمنا (السقيم).

(ويلي ذلك توقيع ١٥ عالماً). علماً بأنَّ جريدة (أُمُّ القرى) الصادرة في مكة – في شوال عام ١٣٤٤هـ – نشرت السؤال والجواب، وقد أثار ذلك ضجةً كبرى بين المسلمين الشيعة والسنة معاً لأنهم كانوا يعلمون أنَّ وراء هذا الاستفتاء الذي صدر تحت وطأة التهديد والوعيد والترهيب هو البدء بهدم القباب والبناء المشيَّد على قبور قادة الإسلام وعظماء المسلمين ورموزهم.

وقد علّقت جريدة (أُمُّ القرى) على هذه الفتوى بمقالة افتتاحية قائلة: (إنَّ الحكومة ستسير في تنفيذ أحكام الدين، رضي الناس أم كرهوا)[1]. ! انتهى. وهذه هي بداية العنف الأعمى، دون مراعاة لسيرة المسلمين، ودون مراعاة

---

(١) انظر كتاب (دعوة الهدى..) للعلامة البلاغي ص٥٧-٦١، وكتاب: (الرد على الوهابية) للمؤلف نفسه ص٣٩-٤٦.

لنصوص مصادر الإسلام في الكتاب والسنة، وإمعاناً في تخريب الإسلام من داخل الكيان باسم الدين، وتأجيجاً للصراع والنزاع في داخل الإطار، وصباً للزيت على النار، لينتهي ذلك إلى الفشل في مواجهة الخطط المرسومة بدقة وإحكام، بعد دراسةٍ مستفيضة في عواصم القوى الشيطانية!

وخلاصة الأمر فقد هدموا شعائر الدين، وجرحوا قلوب المسلمين، بفتوى خمسة عشر عالماً، شهدت القرائن والأدلة أنهم كانوا مجبرين مضطرين على هاتيك الفتيا!، ويشهد نفس السؤال - أيضاً - بذلك، حيث إنَّ السائل يعلِّمُهُم الجواب في ضمن السؤال بقوله: ((وإذا كان غير جائز، بل ممنوع منهيٌّ عنه نهياً شديداً))!

ويومئ إليه - أيضاً - ما في الجريدة، أَنَّ قاضي القضاة الوهابي اجتمع إليهم أولاً، وباحثهم ثانياً، ومن بعد ذلك وَجَّه إليهم السؤال المتعدد الجوانب المذكور!

ولقد حَدّثني – والكلام للعلامة البلاغي – بعض الثقاة من أهل العلم – بعد رجوعه من المدينة آنذاك – عن بعض علمائها، انه قال: إنّ الوَهّابية أوعدوني وعالمين غيري بالقتل والنهب والنفي إنْ لم نستجب لما يريدون فلم نفعل[1]، فإن مبدأ الوهابيين منذ وُجِدوا: (الوهابية أو السيف)! علماً (بأنه لا يجوز لأي مسلم أَنْ يقتل مسلماً تحت أيِّ اعتبار، حتى أنَّ إقامة الحدود الشرعية – كالقصاص – لابد أنْ يرجع بها للقانون والسلطة الشرعية التي تنفذ القانون، ولا يسمح الإسلام لأيَّ مسلم أَنْ ينفذ القانون بنفسه، والذين يقومون بذلك، فإنهم يخالفون الإسلام من ناحيتين: الناحية الأولى، أنهم يقتلون إنساناً بغير حق، ومن الناحية الثانية أنهم ينفذون القانون في ما يعتقدونه.. لم يسمح الإسلام لأحد أنْ ينفذ القانون بنفسه، حتى لو كان على حق، لأن المسألة ستتحول إلى فوضى!.. إنَّ كل إنسان مسالم هو

---

(1) الرد على الوهابية للعلامة البلاغي بتصرف يسير ص٤٥.

محترم في نفسه وفي ماله وفي عرضه وفي كل أوضاعه، ولا يجوز لأيٍّ إنسان أنْ يقتله..)[1]، وهم – الوهابيون – يرفضون الحوار والنقاش في عقائدهم، ويوصون أتباعهم بالابتعاد عن أيِّ نقاش مع الآخرين، لأنهم يعلمون مسبقاً عدم قدرتهم وعدم جدارتهم على هذا الصعيد! وهم جاهزون لتوزيع الاتهامات على المسلمين – عدا الوهابيين – بالشرك والكفر وإنْ صلوا وصاموا وحَجّوا البيت الحرام وزكّوا وشهدوا الشهادتين، لا لسبب إلا لأنهم لا يعتقدون بعقائدهم، ولا يأخذون بآرائهم.!

وعندما كنت سجيناً في سجن أبي غريب عام ٢٠٠٥م كان معي في نفس الخيمة التي تضم (٢٥) سجيناً بعض الوهابيين، وكان يجري بيننا في بعض الأحيان النقاش، ولما لم يتمكنوا من إقناعي بأفكارهم وعقائدهم قرروا قتلي خنقاً، ولما

---

(١) ١٠٠ سؤال وجواب لسماحة المرجع الديني السيد فضل الله، الحلقة (١٧) ص٤٧-٤٨.

تيقنت من قرارهم طلبت من السجّانين الأمريكان نقلي إلى خيمة أخرى، فاستجابوا لذلك، إلاّ أنهم وضعوني في خيمة أسوأ من السابقة، حيث كان أغلب السجناء فيها من التكفيريين الوهابيين إمعاناً في الإيذاء والتعذيب النفسي! وبعد أيام من وجودي في هذه الخيمة الثانية، نقلوني إلى سجن انفرادي، ولكن ضمن غرف انفرادية مفتوحة تقريباً على بعضها البعض، وعندما علم احد الوهابيين التكفيريين القريب مني إني من أتباع مدرسة أهل البيت عليهم السلام من خلال مشاهدته لي أثناء الصلاة، اخذ يتفوه بكلمات مسموعة، بقصد الإيذاء، فكان يقول مثلاً موجهاً كلامه لي وبصوت عالٍ: (إني رأيت رؤوساً قد أينعت، وحان قطافها، وانيٍ لصاحبها!) متمثلاً ومتشبهاً بالسفاح السفاك (الحجاج بن يوسف الثقفي) إلا إني لم اجبه بشيء على تحرشاته!

وفيما يأتي مناقشات علمية موضوعية في أفكار ورؤى وعقائد الوهابيين من خلال مصادرهم

المعتمدة وما كتبه العلامة الشيخ (محمد جواد البلاغي)، وما كتبه العلماء الآخرون، الذين يحملون هَمَّ الإسلام والمسلمين، وتعنيهم سلامة وصحة (عقائدنا الإسلامية) المستقاة من كتاب الله وسُنة رسوله[1]، وسنبدأ بـ((توحيد الله))، وإنْ لم يكن هو الموضوع الأول الوارد في سؤال (ابن بليهد)، لأهميته أولاً، ولأَنَّ الموضوعات الأخرى متصلة بنحوٍ أو بآخر بتوحيد الله،.. وسوف لا نلتزم بنص ما جاء في ردود العلامة البلاغي دائماً، وإنْ التزمنا بجوهر ردوده وأدلته التي يوردها في معرض المناقشة، لنقف على منزلة ومكانة هؤلاء العلماء العاملين الربانيين الهداة، ودورهم الخطير الذي يقومون به، وعلى دور الحوزات العلمية في التصدي للضلالات والانحرافات العقائدية التي تظهر في كل زمان ومكان، يقول الأمام الخميني

---

(١) إن رجوعنا إلى بعض ما قاله العلماء الآخرون غير العلامة البلاغي إنما هو لتأكيد ردود العلامة البلاغي على ضلالات الوهابيين.

قدس سره : (إنَّ الحوزات العلمية وعلماء الدين الملتزمين، كانوا على طول تاريخ الإسلام أهم قاعدة محكمة للإسلام في مواجهة الهجمات والانحرافات)[1].

١ـ توحيد الله في العبادة

اختصاص الله بالعبادة من ضرورات الدين الإسلامي، ومن أهم أركان أصول الدين كما أكد العلامة البلاغي على ذلك فيما كتب، فالغير مهما كان وأيّاً كان لا يستحق العبادة، ولا يجوز لأحد أن يمارس عبادةً لغير الله، ومن عبد غير الله فهو كافر مشرك، سواء عبد صنماً من الأصنام، أو ملكاً من الملائكة حتى ولو كان أشرف الملائكة، أو كان هذا الآخر الذي مورست العبادة بحقه أفضل الأنام!

ويستطرد العلامة البلاغي قائلاً: وليس هذا موضع شك وريب عند أحد ممن عرف دين

---

(١) صحيفة النور ج٢١، ص٨٨-٩٨، نقلاً عن كتاب (ثورة الفقيه ودولته) ص٣٥١.

الإسلام، وكيف يرتاب؟! وهو يقرأ في كتاب الله: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾[1]، ويقرأ: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلاَّ نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لاَ إِلَهَ إِلاَّ أَنَا فَاعْبُدُونِي﴾[2] ويقرأ: ﴿قُلْ اللَّهَ أَعْبُدُ مُخْلِصًا لَهُ دِينِي﴾[3]، ويقرأ: ﴿وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلاَ تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا﴾[4]، ويقرأ: ﴿يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ أَرْضِي وَاسِعَةٌ فَإِيَّايَ فَاعْبُدُونِي﴾[5].

ومن الأحاديث: دعاء أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام القصير: (الهي كفى بي عزاً أَنْ أكون لك عبداً، وكفى بي فخراً أن تكون لي رباً، أنت كما أحب فاجعلني كما تحب)[6].. هذا كله وغيره من النصوص القرآنية والأحاديث المتواترة

---

(1) سورة الفاتحة/5.

(2) الأنبياء/25.

(3) الزمر/14.

(4) النساء 4: 36.

(5) العنكبوت 29: 56.

(6) كنز الفوائد، أبو الفتح الكراجكي، ص181، مكتبة المصطفوي/قم.

موضع وفاق بين الجميع حتى الوهابيين، إلاّ أَنّ الافتراق حصل بين علماء المسلمين كافة وبين الوهابيين في معنى (العبادة) ما هي؟! فقال الوهابيون هي (مطلق الخضوع)، وهذا المعنى ينتهي بنا - عندما نلتزم به - إلى الحكم بالشرك على جميع الناس حتى الوهابيين، فإنهم دون شك يخضعون للرؤساء والأمراء والكبار بعض الخضوع، ويخضع الأبناء للآباء، ويخضع الخدم للمخدومين، ويخضع الطلاب للمعلمين، والجنود للضباط، فهؤلاء جميعاً وغيرهم على رأي الوهابيين مشركون بما فيهم أنفسهم، الذين فسروا (العبادة) بـ((مطلق الخضوع))[1]!

وإذا ما فسرنا (العبادة) بما فسرها المفسرون للقرآن من المدرستين، وأهل العربية، وعلماء الإسلام من المدرستين فهي عبارة عن: (إظهار العبودية والخضوع، المستمد عن الإيمان بالوهية

---

(1) انظر كتاب (الرد على الوهابية) للعلامة البلاغي الفصل الأول في (توحيد الله في العبادة) ص٤٧-٤٩.

المعبود وربوبيته، والامتثال والانقياد للخالق العظيم في ذاته، المستوجب للطاعة لا بوساطة أمر غيره، فان ذلك من أفعال المسلمين)[1] كالسجود، والركوع، والقنوت، وأمثال ذلك، فالعبادة الاعتقادية المأمور بها عقلا ونقلا هي الخضوع الناشيء عن الإيمان بالوهية المعبود وربوبيته، وهي مختصة بذاته تعالى، وهذا التوحيد في العبادة هو الهدف الأساس من لدن الشرائع الإلهية، قال تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلاَّ نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لاَ إِلَهَ إِلاَّ أَنَا فَاعْبُدُونِي﴾[2].

---

(1) منهاج الرشاد لمن أراد السداد للشيخ جعفر كاشف الغطاء الكبير ص٩٠، وكتاب (الإمام البغدادي والوهابية) للسيد علي الحسني البغدادي ص١١٩.

(2) سورة الأنبياء ٢٥.

٢ـ زيارة القبور

وأما (زيارة القبور) و(التمسّح بها) و(تقبيلها) و(التبرك بها) فليس من عبادة غير الله، كما يذهب إلى ذلك الوهابيون لسوء فهمهم، فانه ليس فيها شيء من الخضوع، فضلاً عن كونها (غاية الخضوع)، فأن هناك أخبار كثيرة متواترة تدل على استحباب(زيارة القبور) في مصادر المدرستين مدرسة الخلافة ومدرسة أهل البيت عليهم السلام، من هذه الأخبار:-

١- عن ليث ومجاهد، عن (ابن) عمر، مرفوعاً، قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: ((من حَجَّ، وزار قبري بعد وفاتي، كان كمن زارني في حياتي))[١].

٢- عن أبي هريرة، مرفوعاً،عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم، قال: ((من زارني بعد موتي فكأنما زارني حياً))[٢].

---

(١) سنن الدارقطني ٢/٢٧٨ح١٩٢، السنن الكبرى ٥/٢٤٦.

(٢) الدر المنثور١/٥٦٩، كنز العمال٥/١٣٥ ح ١٢٣٧٢.

٣- وفي (الموطأ) أن ابن عمر كان يقف عند قبر النبي ﷺ، فيسلم عليه، وعند أبي بكر وعمر[١].

٤- عن ابن عباس: أنَّ النبي ﷺ (كان يخرج إلى البقيع آخر الليل فيقول: ((السلام عليكم أهل الديار من المؤمنين والمسلمين))[٢] رواه مسلم.

وأما (التبرك بالقبور) (والتمسّح بها) و(تقبيلها) فهي الأخرى كزيارة القبور، بعيدة عن حقيقة العبادة، ومعناها الصحيح، فلا وجه للمنع عنها، وإنْ لم نورد الأدلة على استحبابها، يضاف إلى ذلك (سيرة المسلمين)، الذين أصبحوا مشركين بعد ظهور الوهابيين!

ومع ذلك نذكر بعض الروايات الواردة، فقد نقل (عبد الله بن احمد بن حنبل) في كتاب ((العلل والسؤالات)) قال: سألت أبي عن الرجل يمس منبر رسول الله، يتبرك بمسه وتقبيله، ويفعل

---

(١) الموطأ ٦٦/١ ح ٦٨، وفاء الوفا ١٣٥٨/٤.

(٢) صحيح مسلم ٦٦٩/٢ ح٩٧٤.

بالقبر ذلك، رجاءَ ثواب الله، فقال: لا بأس به[1] ونقل عن مالك التبرك بالقبر[2].

وروي عن يحيى بن سعيد شيخ مالك انه حينما أراد الخروج إلى العراق جاء إلى المنبر وتمسّح به [3].

يقول الشيخ محمد رضا المظفر في (عقائد الأمامية) تحت عنوان (عقيدتنا في التوحيد): (يجب توحيد الله في العبادة، فلا تجوز عبادة غيره بوجه من الوجوه، وكذا إشراكه في العبادة في أي نوع من أنواع العبادة، واجبة أو غير واجبة، في الصلاة وغيرها من العبادات. ومن أشرك في العبادة غيره فهو مشرك، كمن يرائي في عبادته، ويتَقرَّب إلى غير الله تعالى، وحكمه حكم من يعبد الأصنام، لا فرق بينهما.

---

(١) العلل ومعرفة الرجال ٤٩٢/٢ ح ٣٢٤٣.

(٢) انظر مؤداه في وفاء الوفا ١٤٠٧/٤.

(٣) وفاء الوفا ١٤٠٣/٤.

أما زيارة القبور وإقامة المآتم – والتبرك بالقبور والتمسح بها وتقبيلها – فليس هي من نوع التقرب إلى غير الله تعالى في العبادة، بل هي من نوع التقرب إلى الله تعالى بالأعمال الصالحة، كالتقرب إليه بعيادة المريض، وتشييع الجنائز، وزيارة الأخوان في الدين، ومواساة الفقير. فأن عيادة المريض – مثلاً – في نفسها عمل صالح يتقرب به العبد إلى الله تعالى، وليس هو تقرباً إلى المريض، يوجب أَنْ يجعل عمله عبادة لغير الله تعالى، أو الشرك في عبادته.وكذلك باقي أمثال هذه الأعمال الصالحة التي منها: زيارة القبور، وإقامة المآتم، وتشييع الجنائز، وزيارة الأخوان..

والغرض إنَّ إقامة هذه الأعمال ليست من نوع الشرك في العبادة – كما يتوهم البعض – وليس المقصود منها عبادة الأئمة، وإنما المقصود منها إحياء أمرهم، وتجديد ذكرهم، وتعظيم

شعائر الله فيهم (ومن يعظم شعائر الله فأنها من تقوى القلوب)[1].

فكلّ هذه أعمالٌ صالحةٌ ثبت من الشرع استحبابها، فإذا جاء الإنسان متقرباً بها إلى الله تعالى، طالباً مرضاته، استحق الثواب منه، ونال جزاءه)[2].

وأما الشيخ (محمد جواد مغنية) فيقول في كتابه: (هذه هي الوهابية): (لو اطّلع الوهابيون على ما يدعو به الشيعة عند قبور أئمتهم لأدركوا أنّ زيارتهم لها هي التوحيد في واقعه، والإخلاص في حقيقته، لو سمع الوهابيون تلك الأصوات، ووعوا تلك الكلمات التي تتردد حول قبر أمير المؤمنين عَليّ عليه السلام، وولده الأمام الحسين عليه السلام لتأكدوا أنها عين التنزيه عن الشرك، ونفس

---

(1) الحج ٢٢: ٣٢.

(2) عقائد الأمامية للعلامة الشيخ محمد رضا المظفر ص٢٥١ – ٢٥٦ بتحقيق وتعليق محمد جواد الطريحي.

الإيمان بالله وحده. واليك أمثلة من ذلك الكلم الطيب:

فمن أدعية الصحيفة السجادية التي يرددها الشيعة صباح مساء عند قبور الأئمة الأطهار عليهم السلام وفي كل مكان: ((الهي فمن حاول سد خَلَّتِهِ من عندك، ورام صرف الفقر عن نفسه بك فقد طلب حاجته في مظانها، وأتى طَلَبته من وجهها، ومن توجه بحاجته إلى أحدٍ من خلقك، أو جَعَلَهُ سبب نُجْحِها دونك فقد تعرَّض للحرمان، واستحق من عندك فوت الإحسان))[1].

ومن دعاء آخر: ((ألهي لا تخيّب من لا يجدُ معطياً غيرك، ولا تخذلْ من لا يستغني عنك بأحد دونك))[2].

---

(١) انظر الصحيفة السجادية: الدعاء الثالث عشر(دعاء علي بن الحسين) نقلاً عن كتاب هذه هي الوهابية ص١٦٥ – ١٥٧.

(٢) انظر الصحيفة السجادية: الدعاء السادس عشر (دعاؤه في الاستقالة) نقلاً عن نفس المصدر السابق.

ومن دعاء ثالث: ((ألهي خاب الوافدون على غيرك، وخسر المتعرضون إلاّ لك، وضاعَ الملمون إلاّ بك، وأجدب المنتجعون إلاّ من أنتجع فضلك))[1].

ومن دعاء رابع: (فتباركت وتعاليت، لا اله إلا أنت، وحدك لا شريك لك، آمنت بك، وصَدَّقْتُ رسلك، وقبلت كتابك، وكفرت بكل معبود غيرك، وبرئت ممن عبد سواك))[2] إلى مالا يحصى من هذا التنزيه عن كل شبيه.

فأين عبادة الوهابيين وتوحيد المكفرين من هذا الاعتصام والانقطاع والزهد، والتنزيه النزيه، والعبادة التقية النقية؟. وهل ينطق بهذا إلاّ من سما عقله، وصفا قلبه، وأختلط التوحيد بلحمه ودمه؟. هل يصدر هذا الكلم الطيب عن نفس فيها شائبة لغير الواحد الأحد؟. وهل من عبادة

---

(١) انظر الصحيفة السجادية: الدعاء السادس والأربعون (دعاؤه لعيد الفطر والجمعة) نقلاً عن نفس المصدر السابق.

(٢) انظر الصحيفة السجادية: الدعاء الثاني والخمسون (دعاؤه في الإلحاح على الله) نقلاً عن نفس المصدر.

تستهدف العلي الأعلى كما تستهدفه هذه المناجاة: ((خاب الوافدون على غيرك، وخسر المتعرضون إلاّ لك، وضاع الملمون إلاّ بك، وأجدب المنتجعون إلاّ من أنتجع فضلك))[1] وهل يصدق وينطبق على من أعتصم بالله بهذه العبادة والمناجاة هل ينطبق عليه قول ابن تيمية في كتابه (اقتضاء الصراط المستقيم): ((إنَّ الرافضة أبعد الناس عن التوحيد))[2]؟. وقول محمد عبد الوهاب في كتاب (التوحيد وشرحه فتح المجيد): ((وبسبب الرافضة حَدَث الشرك))[3]؟..

وكان لهذا العالم الجليل (الشيخ مُغْنية) لقاءات وحوارات علمية موضوعية طريفة ونافعة مع علماء الوهابية في مكة والمدينة، تدور في نفس هذا المحور الأهم، محور (توحيد الله)، وننقل حواراً واحداً منها، يقول الشيخ مغنية: (.. عندما

---

(١) انظر الصحيفة السجادية: الدعاء السادس والأربعون (دعاؤه لعيد الفطر والجمعة).

(٢) انظر كتاب (اقتضاء الصراط المستقيم): ٣٩١.

(٣) انظر كتاب (التوحيد وشرحه فتح المجيد): ٢٤٣، وهو مأخوذ من كتاب (هذه هي الوهابية) لمغنية ص١٥٦-١٥٨.

كنت في مكة ذهبت إلى المحكمة الشرعية لوحدي وبدون دليل أو رفيق، وتنقلت من قاضٍ لآخر، واستمعت إلى محاكمتين عند قاضيين،.. وما سألني أحد عن شيء، ولم يثر وجودي انتباه أحد، ثم دخلت إلى غرفة قاضٍ ثالث، فرأيته جالساً خلف طاولته، وفي يده جريدة يقرأها.

فقلت له: هل تجيبني على ما لديَّ من أسئلة؟. قال: سل الرئيس الشيخ سليمان بن عبيد.

قلت: وأين هُو؟.

قال: في الدَّور العُلْوي.

صعدت إلى هذا الدور، فرأيت غرفة واسعة مفروشة بالسجاد الإيراني، وعدداً من المقاعد، وفيها كَتَبَةٌ، وجماعة من أصحاب العلاقة، وفي صدر الغرفة يجلس رجل على كرسي، وأمامه طاولة، وهو متقدم في السن، وإلى جانبه كرسي ثانٍ، ويلبس كوفية حمراء، وثوبا أبيضا، فسألت عنه؟ فقيل هذا هو الرئيس. سلمت عليه، وجلست

إلى جنبه خلف الطاولة، وكان يختم أوراقا مكتوبة بختمه دون أنْ يوقعها بإمضائه.

فبعد أن انتهى التفت إليَّ، وقبل أنْ يسألني قلت له: أنا حاج من لبنان، وقد سمعت أنكم بعد أَنْ تستمعوا إلى المتخاصمين تنهالون بالضرب على المُبْطل، قال: وماذا رأيت؟. قلت: لا شيء من هذا. ثم أطلعني على الاستدعاءات، والسجلات، والدفاتر، فرأيت فيها الدقة والتنظيم. فقلت له: ولكن المعروف أنكّم تكفرون غيركم من أهل المذاهب الإسلامية، بخاصة الشيعة، وتزعمون أنهم يغالون في حب الأمام علي عليه السلام، وأخبرك بأني شيعي جعفري، أشهد أن لا اله إلا الله، وأن محمداً رسول الله، الذي قال: يا علي، لا يبغضك مؤمن، ولا يحبك منافق[1]، وأوالي علياً الذي قال: ((هلك فِيَّ رجلان: محبٌ غالٍ، ومبغضٌ قالٍ))[2]، أُواليه

---

(١) انظر صحيح مسلم ٨٦/١ ح ٧٨ و ١٣١: فضائل الصحابة للنسائي: ١٧/١ ح ٥٠.

(٢) نهج البلاغة: الحكمة (١١٧).

لأنه من الذين عناهم الله جل شأنه بقوله: ﴿قُلْ لاَ أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلاَّ الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى﴾[1]، ولأنه بطلُ معارك الإسلام في جميع المواقف التي وقفها الرسول ضد الشرك وأعداء الدين.

قال: ولكن لابد من البعد عن الشرك.

قلت: هنا يكمن السر.. إنكم ترون المسلمين مشركين، وكيف يجتمع الشرك مع قول: لا اله إلاّ الله؟. وهل من الشرك أنْ أعتقد أن الصلاة في مسجد الرسول أعظم من الصلاة في بيتي؟.. وقبل أَنْ أنْهي كلامي!

قال: نعم، قال رسول الله ﷺ: ((الصلاة في مسجدي بألف صلاة في غيره إلاّ المسجد الحرام، فأن الصلاة فيه بألف صلاة في مسجدي))[2].

قلت له: سبقتني.. إذن أين الشرك؟

---

(1) الشورى: ٢٣.

(2) انظر مسند احمد: ١٥٥/٢ ح ٦٤٣٦، مجمع الزوائد: ٦/٤-٧.

قال: الشرك أن يعتقد المصلي بأن الفضل جاء من أجل صاحب القبر.

قلت: أولاً: إنَّ هذا الاعتقاد ليس بشرك، لأن معنى الشرك أنْ يدعو المشرك مع الله إلها آخر، وهذا شيء، والاعتقاد بان هذه البقعة اكتسبت شرفاً ممن دفن فيها شيء آخر.

ثانياً: أي فضل للأرض من حيث القداسة لولا صاحب القبر، إنّ أجزاء الأرض بكاملها سواء من هذه الجهة، ولا فضل لبقعة على أُخرى إلاّ بمن حل فيها.. لذا قيل: المكان بالمكين، وكل إنسان يقدس بفطرته التربة التي تضم رفاة العظماء والصلحاء، والآباء، والأجداد.

قال: بارك الله فيك، يا ليت كل الشيعة مثلك.

قلت: ومن تعرف من الشيعة؟. وماذا قرأت لهم؟. اقرأوا كتبهم، وأفهموهم جيداً، ثم احكموا عليهم بما تستوحون، وتفهمون، وليس من شأن العالم أنْ يلقي القول جزافاً، هذا إلى أن قوة الإسلام

والمسلمين تقوم على أساس التسامح والتقارب، والمحبة والإخاء، - والوحدة - لا على الشحناء والبغضاء - والتفرقة -، ونحن لا نناوئ أحداً، ولا نريد أنْ يناوئنا أحد.. فهز رأسه علامة القبول والاستحسان))[1].

وأذن (لاشيء - غير ذات الله تعالى - يتمتع بمنزلة يستحق فيها عبادة الإنسان ودعاءه. كل الأصنام الجامدة والمتحركة التي فرضت نفسها على فكر الإنسان وقلبه وجسمه، واغتصبت حاكمية الله في حياة الإنسان هي رجس وأوثان، تُبعد الكائن البشري عن طهره ونقائه الفطري، وتذلّه وتصدّه عن حركته، لابد للإنسان - إن أراد استعادة مكانته السامية - أَن يتجنب الأوثان، ويغسل عن وجوده عار التلوث بعبوديتها)[2].

---

(1) هذه هي الوهابية للشيخ مغنية ص٦٠-٦٩.

(2) روح التوحيد للسيد علي الحسيني الخامنئي ص١٥.

٣ـ توحيد الله في الأفعال

قال العلامة البلاغي رَحِمَهُ اللَّهُ: توحيد الله في الأفعال – مثل الخلق والرزق والإماتة والإحياء وتسخير الكواكب، وجعل الليل والنهار، والظُلم والأنوار، وإجراء البحار، وإنزال الأمطار – وغير ذلك من الأفعال التي لا تعد ولا تحصى، مما يرجع إلى تدبير العالم، فأن هذه تعتبر من ضروريات دين الإسلام، وليس هناك من يدبر غيره، ولا يشاركه في التدبير أحد، ومن أعتقد خلاف ذلك فهو إما كافر بالله أو مشرك به.

وكيف يرتاب الإنسان المسلم في ذلك، وهو يتلو في كتاب الله: ﴿وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾[1]، ويقرأ: ﴿قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ أَمَّنْ يَمْلِكُ السَّمْعَ وَالأَبْصَارَ وَمَنْ يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنْ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنْ الْحَيِّ وَمَنْ يُدَبِّرُ

---

(١) الأنعام ٦: ١٠١.

الأَمْرَ فَسَيَقُولُونَ اللَّهُ فَقُلْ أَفَلاَ تَتَّقُونَ﴾[1]، ويقرأ: ﴿أَمْ جَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ خَلَقُوا كَخَلْقِهِ فَتَشَابَهَ الْخَلْقُ عَلَيْهِمْ قُلْ اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ﴾[2]، ويقرأ: ﴿الَّذِي خَلَقَنِي فَهُوَ يَهْدِينِي، وَالَّذِي هُوَ يُطْعِمُنِي وَيَسْقِينِي، وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِي، وَالَّذِي يُمِيتُنِي ثُمَّ يُحْيِينِ﴾[3].

والسؤال الذي يفرض نفسه هنا علينا هو: هل أَنَّ التوسل بغير الله إلى الله، أو الاستغاثة، أو الاستشفاع – المعمول به عند المسلمين، في جميع الأزمنة، بالنسبة إلى الأنبياء والأولياء – تعتبر تشريكاً في أفعال الله تعالى، وتعتبر خدشاً في توحيد الله، أم لا؟

الغرض من التوسل والاستغاثة والإستشفاع هو أنْ يفعل الله فعله، ويقضي الحاجات ببركة المتوسل والمستغاث والمستشفع بهم – محمد وآل

---

(١) يونس ١٠: ٣١.

(٢) الرعد ١٣: ١٦.

(٣) الشعراء ٢٦: ٧٨ – ٨١.

محمد مثلاً – حيث أنهم مقربون لديه، مكرمون عنده، ولا مانع من أن يكونوا سبباً ووسيلة لجريان فيضه. هذا والمركوز في طباع البشر توسلهم في حوائجهم التي يطلبونها من العظماء والملوك والأمراء إلى المخصوصين بحضرتهم، ويرون هذا وسيلة لنجح حاجتهم، وليس ذلك تشريكا لذلك المخصوص مع ذلك الأمير أصلا. فلماذا يعزل أنبياء الله والأولياء من مثل ما يصنع بمخصوص العظماء؟!! إن هذا إلا اختلاق[1]. إلا إن الوهابية آمنت بالشفاعة في حياة الرسول ﷺ وهي تتم عن طريق الدعاء، ودعاؤه مستجاب، وأما بعد وفاته فلا يجوز الاستشفاع به، كما يقول الشيخ عبد الرحمن حفيد محمد بن عبد الوهاب[2].

---

(١) كتاب (الرد على الوهابية) للشيخ البلاغي بتصرف يسير، ص٥٧-٦٠.

(٢) أنظر (الأمام البغدادي والوهابية) للسيد علي الحسني البغدادي، ص١٥٢.

إلا أن هناك ما يدل على عدم الفرق في طلب الشفاعة منه في حياته، وبعد موته، لأنه نوع من أنواع الدعاء. وقد صح انه لما توفي ﷺ أقبل أبو بكر فكشف وجهه، ثم أكب عليه فقبله وقال: (بأبي أنت وأمي طبت حياً وميتاً، أذكرنا يا محمد عند ربك، ولنكن من بالك)[1].

وقد روى الشيخ المفيد عن ابن عباس رضي الله عنه، لما توفي رسول الله ﷺ تولى غسله علي بن أبي طالب عليه السلام والعباس معه، والفضل بن عباس، فلما فرغ عليٌ عليه السلام من غسله، كشف الازار عن وجهه، ثم قال: (بأبي أنت وأمي طبت حياً، وطبت ميتاً، إلى أن قال... بأبي أنت وأمي أذكرنا عند ربك، واجعلنا من همك، ثم أكب عليه فقبل وجهه ومد الأزار عليه)[2].

---

(1) نفس المصدر السابق، ص١٥٨، نقلا عن كتاب (خلاصة الكلام).

(2) أمالي الشيخ المفيد، ص٦٠، من المجلس الثاني عشر، من منشورات مكتبة بصيرتي في قم.

ومما يظهر أنْ قول القاضي (ابن بليهد): ((ودعائها – الضرائح – مع الله))[1] افتراءٌ على المسلمين من جهتين:-

١- ادعاء إشراك غير الله مع الله في الدعاء، وهذا افتراءٌ، لأنهم لا يدعون إلاّ الله الواحد القهار، ولكنهم – الداعين – يتوسلون إلى الله بأوليائه، إذن الداعون يدعون الله لقضاء حاجاتهم، ويطلبون من أوليائه ليكونوا شفعاء لديه سبحانه، فاختلفت جهتا الدعوة فما هو المانع؟!

٢- إضافة الدعوة إلى الضرائح، وهذا افتراءٌ آخر، لأنهم – الداعون – لا يدعون الضريح ليشفع لهم، بل يدعون صاحب الضريح، لأنه ذو مكانة ومنزلة عند الله، وان كان متوفى، وقد جاء في التنزيل: (وَلاَ تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي

---

(١) الوارد في سؤال ابن بليهد إلى علماء أهل المدينة المنورة، ص١٢ من هذا الكتيب.

سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ، فَرِحِينَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ..)[1].

وخلاصة وزبدة القول أَنَّ التوسل، وطلب الشفاعة، من أولياء الله، أمر مرغوب فيه عقلاً وشرعا وقد جرت سيرة المسلمين على ذلك قديماً وحديثاً، ولم يشذ عن ذلك إلاّ الوهابيون، ودونك الأخبار والروايات في مصادر المدرستين، فأنها تُصدِّق سيرة المسلمين، وتؤكدها:

١- فعن أنس بن مالك، انه قال: ((جاء رجل إلى رسول الله ﷺ فقال يا رسول الله هلكت المواشي، وتقطّعت السبل، فادع الله. فدعا الله، فمطرنا من الجمعة إلى الجمعة.. رواه البخاري في الصحيح[2].

٢- وروى البيهقي، أنه جاء رجل إلى قبر النبي ﷺ فقال: يا محمد إستقِ لامتك، فسقوا[3].

---

(١) سورة آل عمران ٣: ١٦٩ – ١٧٠.

(٢) صحيح البخاري ٣/٣٧.

(٣) انظر قريباً منه في وفاء الوفا ٤/١٣٧٤.

٣- وفي رواية الحافظ، عن ابن عبّاس، أنَّ عمر قال: اللهم إنّا نستسقيك بعم نبيّنا، ونستشفع بشيبته، فَسُقوا[١].

٤- وروى مسلم عنه ﷺ أنَّه: ما من مَيّت يموت، يصلّي عليه أمة من الناس يبلغون مائة، كُلّهم يشفعون له، إلاّ شُفعّوا فيه[٢].

وقد نقل عن الصحابة، بطرق عديدة، أنهم كانوا يلجأون إلى قبر النبي ﷺ، ويندبونه في الاستسقاء ومواقع الشدائد وسائر الأمراض[٣].

فرسول الله محمد ﷺ — كما سائر الأنبياء والأولياء — نافع مبارك في حال حياته وفي حال مماته،وهو عند جميع المسلمين حي في كل الأحوال، بنص الأحاديث الصحيحة، وان اختلفت الحياتان، وإذن أين يكون موضع كلام محمد عبد

---

(١) دلائل النبوة — للاصبهاني — ٧٢٥/٢ ح ٥١١ باختلاف يسير.

(٢) صحيح مسلم ٦٥٤/٣ ح ٩٤٧.

(٣) انظر وفاء الوفا ١٣٧٢/٤ — ١٣٨٧.

الوهاب حيث يقول عن النبي ﷺ: أنه طارش[1]، وأين يكون كلام بعض أتباعه حين يقول: (عصاي هذه خير من محمد، لأنه يُنتفع بها في قتل الحية، ومحمد قد مات، ولم يبق فيه نفع، وإنما هو طارش ومضى)[2].

ومعلوم لكل ذي بصيرة وعلم أنَّ وفاة المتوسل به المميز بالتقوى والصلاح والاستقامة والشهادة، لا تنافي التوسل أصلا، فأن مكانته ومنزلته عند الله لا تزول بالموت. وهم - الأنبياء والأولياء وأشباههم - أحياء في الحقيقة والواقع، كما ذكر ذلك كتاب الله بالنسبة إلى الشهداء، والأنبياء والأولياء أولى بالحياة من الشهداء!

إضافة إلى أنَّ روح الإنسان عامة لا تفنى بالموت كما هي عقيدة المسلمين، والعبرة بها لا

---

(١) الطارش هو الرسول في الحاجة.

(٢) انظر كشف الارتياب للسيد محسن الأمين: ص ١٢٧ الطبعة الثانية نقلاً عن كتاب (هذه هي الوهابية) للشيخ مغنية ص١٤٥.

بالأجساد، وانْ كانت أجساد الأنبياء لا تبلى كما نُصَّ عليه في الأخبار[1].

وقد نقل أبو عبد الله البخاري، أنَّ الشهداء وسائر الموتى المؤمنين إذا زارهم المسلم، وسَلَّم عليهم عرفوه، وردوّا عليه السلام[2].

٤ـ البناء على القبور

نعود إلى جواب علماء المدينة المنورة على سؤال (عبد الله بن بليهد) قاضي قضاة الوهابيين، وقد ذكرنا انه وجههم في سؤاله إلى الجواب الذي يريده، وقد كان سؤاله متعدد الجوانب. وفيما يخص (البناء على القبور)قالوا: (أما البناء على القبور فممنوع إجماعاً).

وقد أجاب شيخنا البلاغي على ذلك بقوله:

وهذا من أعاجيب الادعاءات، إذْ كيف يّدعى الإجماع في (البناء على القبور) والسيرة العملية

---

(١) سنن ابن ماجة ٥٢٤/١ ح ١٦٣٧.

(٢) انظر وفاء الوفا ١٣٥١/٤.

للمسلمين على خلاف ذلك؟! هل أنكر خاتم الأنبياء أو أحد من صحابته ما كان قد بني على قبور الأنبياء السابقين، كقبر النبي (دانيال) في شوشتر، ومدينة الخليل مدفن سيدنا إبراهيم عليه السلام، بل الحجر المبني على قبر النبي إسماعيل وأمّه رضي الله عنهما، وكالجبل الذي دفن فيه موسى عليه السلام، وهود وصالح ويونس وذي الكفل، والآخرون من الأنبياء، هل صدر من خاتم الأنبياء أو أحد من صحابته ما يفيد الاستنكار وعدم الرضا؟! كلا كلا، فهذا دليل على مشروعية البناء على القبور.. نعم هذا دليل إن كان الوهابيون يقيمون للدليل وزناً!

ونزيد على ذلك أَنَّ أول من بنى حجرة قبر النبي صلى الله عليه وسلم باللبن – بعد أنْ كانت مقوّمة بجريد النخل – هو عمر بن الخطاب، على ما نص عليه السمهودي في كتاب (الوفا)[1]. ثم تناوب الخلفاء

---

(1) وفاء الوفا ٤٨١/٢.

على تعميرها [1]، فأين صحة الإجماع المدّعى؟! وأين الشرك من ذلك؟!

وإذا أردنا أنْ نسلِّم بدعوى الوهابيين فمعنى ذلك أَنَّ كافة المسلمين مشركون، وكذلك رسول الله ﷺ وصحابته، والعياذ بالله!

ومن العجيب في العلم والاجتهاد قول المفتين: ((ممنوع إجماعاً؛ لصحة الأحاديث الواردة في منعه))!! أليس الإجماع هو أتفاق المسلمين في العمل، أو اتفاق العلماء في الفتوى؟!.. كيف غاب على هؤلاء المفتين ان صحة الحديث المدعاة لا تعارض الإجماع، ولا تكون علة له، بل الحكم للإجماع على الحديث؟!

وأما قول المفتين: (وبهذا أفتى كثير من العلماء بوجوب هدمه، مستندين في ذلك بحديث علي عليه السلام، انه قال لأبي الهيّاج: ألاّ أبعثك على ما بعثني عليه رسول الله، أن لا تدع تمثالاً إلاّ

---

(١) وفاء الوفا٢/٤٨١ – ٦٤٧.

طمسته، ولا قبراً مُشْرِفاً إلاّ سَوّيته)[1]. فإننا نضع الملاحظات التالية باختصار شديد على قولهم:-

١- ماذا أرادوا بقولهم: ((وبهذا، هل أرادوا الإشارة إلى الإجماع الذي ادعوه، وقد عرفت أنَّ الإجماع والسيرة على خلافه تماماً (خلاف المُدّعى)؟!

٢- إذا كان مستندهم لهدم القباب هو الإجماع، فكيف تنسب الفتوى إلى (الكثير)؟! ثم من هم هؤلاء الكثيرون الذين أفتوا بالهدم؟! إنهم فقط أصحاب العقول المستقيلة من الوهابيين ومن دار في فلكهم، الذين لا يستندون إلى إثارة من علم أو تقوى أو عقل أو إنصاف!

٣- لو كانَ المقصود من القبور التي أمر أمير المؤمنين علي عليه السلام بتسويتها هي عامة القبور بشكل مطلق، فأين كان عليه السلام - وهو

---

(١) أنظر كتاب (الرد على الوهابية) للشيخ البلاغي، ص٦٩-٧٦. وانظر كتاب (دعوة الهدى..) للشيخ نفسه، ص٩٥-٩٩.

يومئذ حاكم مطلق – أين كان عن قبور الأنبياء التي كانت مشيَّدة على عهده، وهي لم تزل مشيدة إلى أيامنا هذه في فلسطين وسورية والعراق وإيران وغيرها؟! فهل يعقل أَنَّ علياً يأمر أبا الهيّاج بأمر، ثم لا يفعله، وهو يقرأ قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لاَ تَفْعَلُونَ، كَبُرَ مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لاَ تَفْعَلُونَ﴾[1] وهو أمير المؤمنين!

٤- لو كان المراد من عبارة (.. ولا قبراً مشرفاً إلاّ سويته) هي تسوية القبر مع الأرض، أي هدمه، لكان الواجب في صحيح الكلام أَنْ يقال: إلاّ سوّيته مع الأرض، فأن التسوية بين الشيئين المتغايرين لابد فيها من أنْ يذكر الشيئان اللذان يراد مساواتهما.

٥- كيف يكون المراد مساواة القبر مع الأرض كما يزعمون، وسيرة المسلمين المسلسلة تشهد على رفع القبور عن الأرض، والروايات الواردة في

---

(١) سورة الصف ٦١: ٢-٣.

مختلف المصادر تنطق بأنَّ قبر رسول الله ﷺ مسنَّمٌ؟!

٦- لو سلمنا بالفهم الوهابي لرواية علي عليه السلام لأبي الهيّاج، فلا ربط لها ببناء السقوف والقباب ووجوب هدمها!

وأما قول السائل قاضي قضاة الوهابيين (ابن بليهد): ((وإذا كان البناء في مُسبَّلَة كالبقيع وهو مانع.. إلى أخره)) فقد أجاب الشيخ البلاغي بما ملخصه: أن البقيع ليست وقفاً، بل هي باقية على إباحتها الأصلية، ولو وقع الشك على خلاف الإباحة نستصحب الإباحة، بناءً على قاعدة الاستصحاب، وهي تعني: (إبقاء ما كان على ما كان)[1] ويضيف العلامة البلاغي على ما تقدّم: إنّ وقفية البقيع لو سُلمت فهي غير مانعة عن البناء، لأنها موقوفة مقبرة على جميع الشؤون المرعية في المقابر، ومن هذه الشؤون البناء على قبور أشخاص

---

(١) انظر كتاب (دعوة الهدى..) للشيخ البلاغي، ص١٠٢-١٠٣.

مخصوصين كالأصفياء، فأن البناء على القبور ليس أمراً حديثاً بل كان متعارفاً من قديم الزمان[1].

٥ـ الصلاة عند القبور، وإيقاد السُرُج عليها

وقال المفتون من علماء المدينة في جوابهم على سؤال قاضي قضاة الوهابيين (ابن بليهد).: ((وأما اتخاذ القبور مساجد، والصلاة فيها، وإيقاد السُرُج عليها، فممنوع (مطلقاً)؛ لحديث ابن عبّاس: لعن رسول الله ﷺ زائرات القبور، والمتخذين عليها المساجد والسُرُج. رواه أهل السنة))[2]، وفي جواب الشيخ البلاغي على هذا يقول:

لقد جرت سيرة المسلمين جميعاً المسلسلة على جواز الصلاة عند القبور، وأما حديث ابن عباس المار الذكر، فأن الظاهر من اتخاذ المسجد

---

(١) نفس المصدر السابق، ص١٠٣.

(٢) مسند أحمد ٢٢٩/١ و٢٨٧ و٣٣٤و٣٢٧، سنن الترمذي ١٣٦/٢ ح٣٢٠.

على القبر هو (السجود على نفس القبر)، وهذا غير الصلاة عند القبر، فأن الأول موضع وفاق بين الجميع بما فيهم الوهابيون، إضافة إلى أنَّ اللعن الوارد في الرواية المتقدمة غير دال على الحرمة بل هو يلتقي مع الكراهة، واللعن – حقيقة – هو البعد عن رحمة الله، وهو ولا يستلزم الحرمة، فأن عمل المكروه – أيضاً – مبعِّدٌ من الله، كما أنْ فعل المستحب مقَرِّبٌ إليه عز وجلّ[1].

وذكر بعض العلماء في الإجابة: أن المقصود من النهي عن اتخاذ القبور مساجد، أن لا تتخذ قبلةً يصلى إليها، باستقبال أيّ جهة منها، كما كان يفعل بعض أهل الملل الباطلة السالفة!

وإذا كانت الصلاة عند القبر محرمة في الشريعة الإسلامية –كما يزعم الوهابيون– فلماذا قضت عائشة عمرها وحياتها بالصلاة في البيت الخاص بها عند قبر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم؟![2].

---

(1) انظر (الرد على الوهابية) للشيخ البلاغي، ص٧٧.

(2) الوهابية في الميزان للشيخ جعفر سبحاني ص١٢٢.

وقد كانت فاطمة الزهراء عليها السلام بنت رسول الله تزور قبر عمها حمزة بن عبد المطلب في كل جمعة – أو في الأسبوع مرتين – وكانت تبكي وتصلّي عند قبره كما قال البيهقي [1].

فماذا يقول الوهابيون (السلفيون التكفيريون) بعد كل هذا، ماذا يقولون بعد كل هذه الأدلة الواضحة؟! أيقولون بأن ملايين المسلمين جميعاً مشركون لأنهم لا يلتزمون بما يقولون؟! أيقولون أن أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ومنهم فاطمة وعائشة مشركون؟! لماذا نبقى نستخدم الألفاظ غير اللائقة بحق المسلمين التَّواقين لحج بيت الله الحرام وزيارة مرقد رسول الله والصلاة عند قبره وفي مسجده المبارك؟! لماذا يطلق الوهابيون لفظة (القبوريين) على المسلمين الذين يصلون عند قبر نبيهم وعند قبور أولياء الله؟! ثم إذا كانت الصلاة عند قبر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم محرمة وإضاءة مسجده وإنارته محرمة لماذا يصلون في هذا المكان جماعة وفرادى

---

(١) سنن البيهقي: ٧٨/٤ مأخوذ من المصدر السابق نفس الصفحة.

وصلاة الجمعة؟! ولماذا كل هذه الإضاءة بالأنوار الساطعة الرائعة؟!

أما آن الأوان أنْ تعيدوا النظر في أحكامكم وأفكاركم وعقائدكم البالية التي لم يكن لها من سند من آية أو رواية أو سيرة، أما آن لكم أن تتخذوا قرارات شجاعة ترمي هذه الأفكار التكفيرية المظلمة في المزابل، لتطهروا عقولكم وأنفسكم وقلوبكم من أدران الاعتقادات الفاسدة ولتصونوا الإسلام، وتزيلوا عنه الصورة المشوهة التي أُلحقت به جرّاء هذه العقائد الظُلامية والممارسات البعيدة عن قيم السماء السمحة؟! لماذا وألف لماذا؟! لماذا لا توفروا الأموال الطائلة التي تصرفونها لطباعة كتبكم وكراساتكم التي توزعونها على حجاج بيت الله الحرام. وتحسبون أنكم تحسنون صنعاً؟!!

وأما مسالة (الإضاءة عند قبور أولياء الله) — والتي يدّعي الوهابيون حرمتها — ليست ذات أهمية بالغة، لأن الدليل الوحيد الذي يستدلون به هو ما ذكره النسائي عن ابن عباس أنَّ رسول الله

ﷺ لعن زائرات القبور، والمتخذين عليها المساجد والسُّرُج[1]، وهذا الحديث - وأمثاله - يختصّ بما إذا كانت الإضاءة تضييعاً وتبذيراً للمال، أو تشبُّهاً ببعض الأمم والشعوب والأديان الباطلة.. وأما إذا كان الهدف من الإضاءة والإنارة هو تهيئة الأجواء للزائرين لتلاوة القرآن والدعاء والتضرع إلى الله وإقامة الصلاة وغيرها من المستحبات والواجبات والمنافع المشروعة فلماذا يكون ممنوعاً ولماذا يكون حراماً[2]؟!

٦ـ الذبائح والنذور

وقال علماء المدينة الذين أجابوا على سؤال قاضي قضاة الوهابيين (عبد الله بن بليهد): (وأمّا ما يفعله الجُهّال عند الضرائح، من التمسح بها،

---

(١) سنن النسائي: ٧٧/٣.

(٢) الوهابية في الميزان للشيخ سبحاني ص١٢٣ - ١٢٤.

والتقرّب إليها بالذبائح والنذور،.. فهو حرام، ممنوع شرعاً، لا يجوز فعله أصلاً..)[1].

وقال – احمد بن تيمية – من نذر شيئاً للنبي ﷺ، أو غيره من النبيين والأولياء من أهل القبور، أو ذبح له ذبيحةً كان كالمشركين الذين يذبحون لأوثانهم، وينذرون لها، فهو عابد لغير الله، فيكون بذلك كافراً [2] وهذا القول صحيح في الجملة، ونحن نقرهم عليه، فان النذر لا يصح إلاّ إذا كان لله، وأما إذا كان لغير الله على أنَّ هذا (الغير) أهل لأن يُنذر له، لأنه مالك الأشياء، وبيده زمامها فهو من الكفر والشرك، وهذا يعتبر من المسلمات الواضحة الضرورية عند كل المسلمين، ولكن ليس المعروف في بلدان منطقتنا العربية والمسلمة التي نعيش فيها النذر لغير الله، إلاّ على معنى أنه صدقة منذورة يهدى ثوابها إلى المنذور

---

(1) دعوة الهدى إلى الورع في الأفعال والفتوى، للعلامة البلاغي ص٦٠.

(2) الإمام البغدادي والوهابية تأليف السيد علي الحسني البغدادي ص١٨٧.

لـه، فمعنـى النـذر للـنبي وآلـه ﷺ مـثلاً صـدقة منذورة يهـدى ثوابهـا لهـم، وهكـذا النـذر لـسائر الأولياء[1].

وكذلك نقول بالنـسبة إلى الـذبح، فـلا يـصح الذبح إلاّ لله، أما الذبح عن الأموات،فلابد أن يكـون لله وحده وان كان عـن الميـت، وكـم بـين الـذبح عـن الميت، والذبح له، والممنوع هو الثـاني لا الأول[2]، وقد أخـتلط الأمـر علـى (ابـن تيميـة) بـين (لهـم) و(عـنهم) و(لـه أي لله) في النـذر، وبـين (لهـم) و(عنهم) في الذبح حينما قال: (..ومـن نـذر شـيئاً للنبي ﷺ أو غيره من النبيين والأولياء مـن أهـل القبـور أو ذبـح لـه ذبيحـة كـان كالمـشركين الـذين يذبحون لأوثانهم، وينذرون لها فهو عابد لغير الله فيكون بذلك كافراً)! والحال إن النذر ليس (لهم)، كما إن الذبح ليس (لهم)، وإنما النذر كان لله ويراد إهداء ثوابـه للمنـذور لـه، والـذبح عـن الأمـوات،

---

(1) منهج الرشاد للشيخ جعفر كاشف الغطاء ص٩٧-٩٨.

(2) الرد على الوهابية للعلامة البلاغي ص٨١.

وليس لهم، ولكن أين من هذا أصحاب العقول المستقيلة، الذين يسرعون في إلصاق تهم الكفر والشرك والضلال بالمسلمين بأسهل من شرب الماء البارد في يوم صائف!!

وقد روي عن النبي ﷺ انه ذبح بيده وقال: اللهم هذا عني، وعن من لم يُضحِّ من أمتي[1]، وهذا يذكرنا بما ردّ به آية الله العظمى الشيخ محمد حسين كاشف الغطاء في كتابه (الأرض والتربة الحسينية) على من زعم إن المسلمين الشيعة يعبدون التربة، ويتخذونها صنما!!!، حيث قال الشيخ في رده عليهم بإيجاز: (إن المسلمين الشيعة يسجدون على التربة، ولا يسجدون لها)، وفرق واضح بين (السجود على التربة) فهو جائز عندهم، لأنه يستند إلى الحديث النبوي الشريف: (جعلت لي الأرض مسجدا

([1]) مسند احمد ٣/٣٥٦و٣٦٢، سنن أبي داود ٣/٩٩ح٢٨١٠، سنن الترمذي ٤/٩١ح١٥٠٥ نقلاً عن كتاب الرد على الوهابية للعلامة البلاغي ص٨٢.

وطهورا) والتربة جزءٌ من الأرض، وبين (السجود للتربة) وهو غير جائز ومحرم عندهم لأن السجود إنما يكون لله وحده وليس للتربة أو لغيرها[1].

وقال الإمام المجاهد السيد البغدادي قدس سره في هذا الصدد: (لا ريب في تشريع النذر عن الأموات المؤمنين لعموم أدلته، كما لا ريب في اشتراط شرعية متعلقه، فإذا جاز الصلاة والتصدق عنهم بعد موتهم فقد صحَّ أن يكون ذلك متعلق النذر. وليس هذا من عبادة الأموات - كما زعمه الوهابي - بل ذلك من عبادته تعالى الخالصة لوجهه)[2]، وهكذا الشأن بالنسبة إلى الذبائح التي تقدم إلى أولئك الأولياء، فالذابحون لا يقصدون بها إلاّ الصدقة عنهم وإهداء الثواب لهم، فلا ريب في جوازه ومشروعيته، ولا صلة له بالعبادة لغير الله،

---

(١) أنظر كتاب (الأرض والتربة الحسينية) للعلامة الشيخ محمد حسين كاشف الغطاء.

(٢) التحصيل في أوقات التعطيل للإمام المجاهد السيد البغدادي ج٩ غير مرقم نقلاً عن كتاب الإمام البغدادي والوهابية، ص١٩٠ للسيد علي الحسني البغدادي.

ولا يدخل تحت إطار مفهوم الشرك. ولا يقاس ذلك بما يفعله عبدة الأصنام[1].

وهكذا يمضي العلامة البلاغي يبدد ظلمات العقائد الوهابية الضالة بأنوار براهينه وآراءه السديدة المستمدة من كتاب الله المجيد، والسنة النبوية المعطاء وسيرة المسلمين جميعاً، وقد جاء في الحديث الشريف: (مداد العلماء أفضل من دماء الشهداء)[2]! وقد ورد عن أمير المؤمنين عليه السلام في نهج البلاغة (لأبقرن الباطل بقراً حتى اخرج الحق من خاصرته..)[3] وهكذا هم تلاميذ علي الحق والقرآن في كل زمان ومكان.

---

(1) أنظر كتاب (الإمام البغدادي والوهابية) ص١٨٦ – ١٨٧.

(2) الجامع الصغير، جلال الدين السيوطي، ج٢/ص٧٦٣.

(3) نهج البلاغة لأمير المؤمنين عليه السلام، شرح محمد عبدة، ط١/عام ١٤١٢هـ/ج١/ص٢٠٠.

خاتمة المطاف

من خلال تجوالنا وتطوافنا في البحث في مختلف الأفكار والعقائد التي يحملها الوهابيون لمسنا بوضوح كيف أساءت الوهابية إلى الثالوث المقدس (التوحيد) و(الوحدة) و(الجهاد).. أساءت الوهابية إلى (التوحيد)، لأنها أعطت صورة شوهاء منحرفة معقدة مكفهرة له، وهو العمود الأول الذي يقوم عليه بناء الإسلام، فأسرفت في تكفير المسلمين الموحدين، ورميهم بالشرك، لأتفه الأسباب ومن دون مبرر!.. وأساءت الوهابية إلى (الوحدة)، لأنها مزقت كل مجتمع وجدت فيه، وجعلته أشلاء مبعثرة غارقة في الدماء، وركزت على نقاط الافتراق بينها وبين كافة المذاهب الإسلامية، ولم تركز على نقاط الالتقاء والاجتماع بينها وبين الآخرين، وهذا خلاف المنهج القرآني، الذي يدعو إلى التكامل مع الآخرين وليس إلى التقاطع معهم! ولم تزل هذه سجيتهم وطبيعتهم،

ولم تـزل هـذه منهجيـتهم وسـلوكيتهم الدمويـة الوحشية اللاإنسانية الى يومنا هذا!!

وأساءت الوهابية إلى (الجهاد) – وهو ذروة سنام الإسلام كما نصت على ذلك الأحاديـث – لان جهـادهم لم يكـن ضـد أعـداء ديـن الله الكـافرين والمـشركين والمنـافقين، ولم يكـن ضـد أعـداء عبـاد الله، وإنما كان جهادهم ضد المسلمين الموحدين.. ضد المـسلمين النـاطقين بالـشهادتين، والـذين يـصلون ويصومون ويزكون ويحجـون إلى بيـت الله الحـرام، والذين يتهمونهم بالكفر والشرك والـضلال، بينمـا الكفـار والمـشركون والـضالون الحقيقيـون يجلـسون على التلال، يتفرجون ويضحكون على ممارسـاتهم الإجراميـة بحـق أبنـاء الإسـلام، وينـسقون معهـم لإثارة الحروب الطائفية الأهليـة في بلـدان المنطقـة عمـلاً بالخطـة المرسـومة الـتي وضـعت، والمـسماة بـــ((الفوضـى الخلاقـة)) أو ((الفوضـى البنـاءة))، وهي إلى تسميتها بـ((الفوضى الهدّامة)) أولى!

إن الله العزيـز الحكـيم لا يريـد أن يفـرض دينه على الناس فرضاً بالقوة والسيف.. لا يريد أن يكره الناس على الإيمان، فكيف ساغ للوهابيـة أن تقول: ((يجب دعاؤهم – المسلمين – إلى التوحيد، فمـن اقـر سـلم، والا فهـو مبـاح الـدم والمـال والذرية)[1]، ويقصدون بالإقرار الذي يسلمون معـه هو الإقرار والتسليم بأفكارهم وعقائـدهم الظلاميـة البعيـدة عـن قـيم ومثـل الإسـلام بُعـدَ الأرض عـن السماء!

هـؤلاء هـم الوهـابيون، وهـذا هـو مبـدأهم: (الوهابيـة أو الـسيف)أو (مـن لم يكـن معنـا فهـو علينا)!!!

وهـذا هـو العـراق بلـد الإسـلام والمـسلمين والمقدسات – على سبيل المثال لا الحـصر – مـازال يعاني يومياً من ممارساتهم الإجرامية الوحـشية،

---

(1) هذه هي الوهابيـة للـشيخ محمـد جـواد مغنيـة ص٢٢٠، وهـو مأخوذ من كتاب (تطهير الاعتقاد من أدران الإلحـاد) للـصنعاني ص٣٥-٣٦.

التي يندى لها الجبين بحق جميع الشرائح الاجتماعية، النابعة والمنطلقة من نظرتهم السوداء الضالة المنحرفة حول التوحيد، وتكفير المسلمين، من أبناء المدرستين، مدرسة أهل البيت عليهم السلام ومدرسة الصحابة، ولا زالت بغداد وبعقوبة (ديالى) والرمادي والبصرة والفلوجة وكربلاء والنجف وتلعفر وكركوك وآمرلي وسنجار وسامراء والمحمودية وأربيل والسليمانية وغيرها من مدن العراق الكبيرة منها والصغيرة تستيقظ صباح مساء على الكوارث والفواجع التي ينزلونها بحق أبناء العراق دون تفريق بين طفل صغير وشيخ كبير وامرأة مخدرة أو عامل أو موظف أو غيرهم، ويعاونهم تخطيطاً وتنفيذاً أيتام الطاغية المقبور وجيران السوء من دول المنطقة المحيطة بعراق المقدسات، ويعاونهم كذلك على الإثم والعدوان المحتلون الأمريكان وأشباههم، الذين لا يقيمون وزناً وقيمة لدماء المسلمين على أن تسلم لهم مصالحهم، التي يدورون معها حيثما دارت!..

لازال أبناء العراق المظلومون تسيل دماؤهم جرّاء سياراتهم المفخخة وأحزمتهم وعبواتهم الناسفة وهاوناتهم التي تتساقط على رؤوس الأبرياء وهم في محال عملهم وفي الطرق إليها، بل وحتى في منازلهم، حتى بلغ الفارّون من الجحيم أكثر من أربعة ملايين عراقي توزّعوا في مختلف الجهات القريبة والبعيدة في العالم، ناهيك عن الفارين المهاجرين إلى المناطق شبه الآمنة داخل العراق!.

ولقد نهض علماؤنا الأعلام في الماضي والحاضر، وقاموا بواجبهم ومسؤوليتهم تجاه فرق الضلال و(التدين الأعمى) و(العقل المستقيل) المثل بالقاديانية والبهائية والبابية والوهابية، وغيرها من فرق الضلال والزيغ، وكان في المقدمة من هؤلاء (العلماء النوادر) و(المنارات الهادية) هو شيخنا العلاّمة آية الله (محمد جواد البلاغي)، فكان من شهود عصره الذي عاشه، وقد أدى ما عليه من الأمانة، وذهب إلى ربه راضياً مرضياً، فما هي

مسؤوليتنا الآن.. ما العمل ونحن نشهد هذه الكوارث والفواجع والمصائب التي تدمي القلوب قبل العيون؟ لاسيما يوم الأربعاء الدامي، الذي فجرت فيه وزارة المالية ووزارة الخارجية، وذهب ضحيتها أكثر من ألف إنسان بريء بين قتيل ومشوه وجريح.

إن مسؤوليتنا في الوقت الحاضر هي إشاعة الثقافة الإسلامية الوسطية الحضارية الأصيلة، إن مسؤوليتنا هي نشر آثار العلماء الأعاظم، الذين كتبوا ردودهم العلمية الرصينة النيّرة، المستندة إلى كتاب الله وسنة نبيّه الأعظم وأبانوا حقيقة هذه الفرق، وحقيقة هذه الأفكار التي تتهاوى، ولا تصمد، وتتبدد ظلماتها أمام أنوار الإسلام الكشّافة الساطعة.. إن مسؤولية المجتمع الذي تظهر فيه هذه الزمر الوحشية المجرمة العابثة الضالة هي مسؤولية ركاب السفينة المبحرة إذا عبث فيها بعض ركابها، وأراد أن يخرق ويثقب المكان الذي يجلس فيه، فأن الغرق سوف يعم الجميع إذا لم

يؤخذ على أيدي هؤلاء العابثين الشقاة، وإذا تطلب الأمر استخدام القوة فلا ينبغي التردد في استخدامها، كما فعل أمير المؤمنين عليه السلام في النهروان مع الخوارج الذين أصروا على إشهار سيوفهم في وجه الدولة الشرعية والحاكم الشرعي، ولم ينفع معهم الحوار والنقاش، فأبادهم عن بكرة أبيهم، وكان عددهم أربعة آلاف، ولم يبقَ منهم إلاّ أربعة فقط، كما يذكر بعض رواة التاريخ ذلك[1] فكان لسان حاله عليه السلام يردد قول الشاعر:

السيف أصدق أنباءً من الكتب

في حده الحد بين الجد واللعب

إن مسؤوليتنا أن تكون طروحاتنا إسلامية، وليست طائفية، كما أراد الله وأراد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، وإذا كان لابد من الطائفية فلتكن (طائفية فكرية)، تنفتح على (الطوائف الفكرية) الأخرى، ويكون الأساس الذي تعتمده عند ذاك هو ((الحوار)) لا غير، وقد جاء في كتاب الرشد

---

(١) أنظر الكتب التي كتبت عن معركة النهروان مع المارقين.

والهداية والنور والعقل والحكمة.. كتاب الله العظيم: (وَإِنَّا أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَى هُدًى أَوْ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ)[1]، وبغير هذا سنكون مرمى لنبال وسهام الأعداء، وهدفاً دائماً لهم.. يغدون علينا ويروحون، وصيداً سهلاً، لغرض إبعادنا عن سر قوتنا وعزتنا وكرامتنا وانتصاراتنا وسيادتنا وقيادتنا للعالم ألا وهو الإسلام العظيم،.. إن البديل عن الحوار الموضوعي العقلاني العلمي هو التعصب والاحتراب والتخندق في خنادق الطائفية الضيقة المظلمة البغيضة، والضياع والتيه والتمزق والتشتت والتفرق، وبذلك يتحقق هدف الأعداء القديم الجديد (فرّق تسد)! فهل نحقق ما يريده أعداؤنا لنا ويخططون، أم نحقق ما يريد ربنا وكتابنا ونبينا وقادتنا الربانيون؟! هل نبقى مادة – كشعوب عربية ومسلمة – لمخططات الأعداء الشيطانية الشريرة، ولفرقهم الضالة التي تصنع خصيصاً لنا، أم نستجيب لتعاليم السماء النيرة

---

(1) سورة سبأ: ٢٤.

التي تدعونا للإيمان بالله ومنهجه القويم، ووحدة الصفوف والقلوب والأهداف لمواجهة التحديات الكبرى التي تواجه الإسلام والمسلمين، والجهاد في كل الميادين، وقد قال الأمام الراحل السيد عبد الحسين شرف الدين، ونعم ما قال:- (لا ينتشر الهدى إلا من حيث انتشر الضلال)[1] ﴿وَقُلِ اعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ وَسَتُرَدُّونَ إِلَى عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾[2].

الشيخ هادي الخزرجي

٢٠٠٧/٧/١١م الأربعاء

النجف الاشرف

---

(١) أنظر كل من كتب سيرة شرف الدين في مقدمات كتبه، لاسيما المراجعات والنص والاجتهاد.

(٢) التوبة: ١٠٥.

حاجة الناس إلى الرسالة الحضارية لأمتنا الإسلامية

لم يبق غير الإسلام منقذاً[1]

إذا قلنا: إن العلم والفلسفة عاجزان عن القيام بمهمة الإنقاذ للبشرية اليوم مما تعانيه، وان الدين وحده هو المنقذ، ولا شيء غيره، وان كنا قد بينا إن المسيحية -باعتبارها ديناً - عاجزة عن القيام بهذا الدور، وان اليهودية أشد منها عجزاً، فلم يبق غير الإسلام ديناً يمكنه أن يقوم بهذا الدور الخطير في هذا الزمن البائس، الذي تتلمس فيه البشرية الخلاص، وتبحث عن طوق النجاة.

ترى هل يستطيع الإسلام المعاصر أن يقوم بهذه المهمة بجدارة واقتدار؟ وأي الاتجاهات الفكرية التي نشهدها في الساحة اليوم، ونرى لها دعاتها وأنصارها، هو المرشح للقيام بهذا الدور

---

(1) موجز ملحق للشيخ الدكتور يوسف القرضاوي، يتناغم ويتعاضد مع الموضوع المطروح، جدير بالقراءة.

المنشود؟ وهذا يقتضي البحث في الاتجاهات السائدة بين مفكري العالم الإسلامي.

الاتجاهات السبعة السائدة في موقفها من الإسلام

سنعرض هنا بوضوح وأمانة للاتجاهات الفكرية الأساسية التي تتحدث عن الإسلام، وتتخذ منه موقفاً بالإيجاب أو السلب، بالقبول والولاء، أو بالرفض والعداء، ومن درس الاتجاهات الفكرية في الساحة، وموقفها من الإسلام وجدها سبعة؛ ستة منها نرفضها، لأنها لا تمثل الإسلام الحق في رأينا، وواحد منها فقط هو الذي نؤمن به، وندعو إليه، وسنجتهد أن نعرضها هنا بإيجاز ما استطعنا، محاولين تحديد أهم ملامحها ومعالمها، مختارين لها عناوين معبرة، وهي من عندنا ولم يسمها بها أصحابها طبعاً.

١ـ الاتجاه الاجتراري

وهو الذي يعيش على الماضي وهو يجتره، ويعيد مضغه من جديد ولا يضيف إليه شيئاً، هذا مع أنه في واقع الأمر قد مضغ وهضم وامتص من قبل؛ فالاجترار المعروف عند الأغنام له وظيفة مهمة، وهو استعادة ما أكل بسرعة واختزن ولم يمضغ جيداً، حتى يُعاد مضغه في تؤدة وأناة، أما الاجترار الفكري لما هو مهضوم بالفعل من قبل؛ فهو عمل معيب غير ذي وظيفة.

الاجترار الحيواني إذن له فائدته ونفعه، أما الاجترار الإنساني فلا فائدة له، بل هو ضار بالأمة؛ لأنه يضيع طاقتها في غير طائل.

إنما المفيد حقاً هو استخدام هذا الماضي أو التراث لإنشاء شيء جديد طالما تجددت الحياة واحتاجت إلى هذا الجديد؛ فيكون التراث بمثابة المادة الخام التي تضاف إليها بعض المواد المعينة

لتصنيع آليات جديدة، لخدمة الأهداف الثابتة والأصول الخالدة، التي يقوم عليها كيان الأمة.

يمثل هذا الاتجاه بعض الدعاة الذين يفكرون بعقول الأموات من الماضين، وينظرون إلى إشكالات الحياة المعاصرة بعيونهم، ومن هؤلاء بعض الجماعات الدينية، التي تعيش على الماضي وحده، ولا تهتم بما يمر به العصر من تيارات، ولا ما يعانيه الواقع من مشكلات؛ فهم قدماء في أفكارهم، قدماء في لغتهم، قدماء في توجههم، يعتقدون إن في الكتب القديمة حلاً لكل معضلة، وإجابة عن كل سؤال.

ولا ننازع في أن أمتنا وفقهاءنا الأقدمين تركوا للأمة فقهاً ثرياً، وتركة غنية بالأقوال والتعليلات والتخريجات والقواعد والصور، ولكنهم اجتهدوا لزمانهم لا لزماننا، ولبيئتهم لا لبيئتنا، ولمشكلاتهم لا لمشكلاتنا، فعلينا أن نجتهد لزماننا وبيئتنا كما اجتهدوا، وان نرفض تلك المقولة التي تبناها أصحاب هذه الاتجاهات، وهي: ما ترك

الأول للآخر شيئاً؛ فالواقع إن الأول ترك للآخر أشياء كثيرة؛ رأيناها ماثلة للعيان في مجال العلوم الطبيعية والرياضية، فلماذا لا يكون ذلك في العلوم الشرعية؟ لاسيما إن الحياة تأخرت تغيراً هائلاً اقتضى أن تتغير الفتوى بتغيره، كما قرر الراسخون من العلماء، وهذا ليس في الفقه وحده، بل في متون العقيدة وعلم الكلام أيضاً، فما أحوج الناس إلى علم كلام جديد يخاطب الإنسان المعاصر بلسانه.

٢ـ الاتجاه الانتحاري

وهو الاتجاه الذي يريد من الأمة أن تنسلخ من ذاتيتها، وتتنكر لعقيدتها وشريعتها ورسالتها، وتذوب في الأمم الأخرى الأشد قوة، والأكثر تقدماً، والأقوى حضارة في الإبداع المادي، بناء على نظرية تقول: إن الحضارة لا تتجزأ، وان أخذ جزء من حضارة – كالجزء العلمي أو التكنولوجي في الحضارة الغربية المعاصرة – لا

يغني ما لم تأخذ الحضارة كلها بجذورها الفلسفية، وقيمتها الأخلاقية، ومفاهيمها الفكرية، ومناهجها التربوية، وتوجهاتها التشريعية، فما لم تؤخذ الحضارة بخيرها وشرها، وحلوها ومرها؛ فلن يجتني من ورائها ثمرة، ولن تستطيع منافسة أهلها في مضمار التقدم.

وإنما سمينا هذا الاتجاه (الانتحاري) لأنه إعدام للأمة وإلغاء لشخصيتها وتميزها، وهذا هو الانتحار بعينه، فان بقاء الأمة – بوصفها أمة – إنما يكون ببقاء شخصيتها وخصائصها الذاتية، فإذا ذابت في غيرها، وفنيت فيه، كما يذوب الملح في الماء، فلم يعد لها وجود متميز؛ فحياتها – كأمة – وموتها سواء، ولاسيما إذا كانت هذه الأمة ذات رسالة عالمية دينية وأخلاقية وحضارية، فذلك أكبر جناية عليها؛ حيث تنسى نفسها، وتنكر ذاتها، وأخذ جزء من حضارة لا يستلزم أخذ الحضارة كلها، وقد تكرر هذا قديماً وحديثاً، أخذ الغرب المنهج العلمي التجريبي من الحضارة

الإسلامية دون أن يأخذ قيمها الروحية والأخلاقية والتشريعية، وأخذت اليابان في عصرنا هذا المنهج من الغرب، ولم تأخذ عقائد الغرب ولا قيمه ولا تقاليده، واستفادت اليابان بما أخذت من الغرب، كما استفاد الغرب قديماً بما أخذ من حضارة الإسلام.

هذا الاتجاه الخطير يمثله دعاة التغريب بفصائلهم المختلفة، وفلسفاتهم المتباينة، من اليمين الليبرالي، إلى اليسار الماركسي، فكلهم شركاء في رفض مرجعية الإسلام للأمة، متفقون - رغم اختلاف وجهاتهم - على إخراجها من هويتها، وسلخها من جلدها؛ لتتبع أمماً أخرى في فكرها وقيمها وسلوكها، شبراً بشبر، وذراعاً بذراع!

فكل هؤلاء بمدارسهم المتعددة لا يؤمنون بأصالة الأمة، وقيمة ما لديها من رسالة وثقافة وحضارة، وأنها لا يمكن أن تعيش - بله أن تتقدم - إلا بالاستيراد من غيرها.

ولـو قـالوا باسـتيراد الأسـاليب والكيفيـات والآليات لوافقناهم تماماً، ولكنهم يريدون استيراد الأصول والفلسفات والقيم؛ لتبقى الأمة بـلا أسـاس ولا جذور، ولهؤلاء أساليب شتى، وحيـل متنوعـة في الوصول إلى هذا الهدف.

بعضهم صرحاء في رفـضهم لمرجعيـة الإسـلام بلا مداهنة ولا مواربة ولا مجاملة ولا تغليف بـأي غـلاف، وبعـضهم يتخـذ أسـاليب ملتويـة كـالقول بتاريخيـة الـنص القرآنـي أو النبـوي، أو بـدعوى قراءتـه قـراءة جديـدة، لا تعتمـد علـى الأصـول العلمية الموروثة، والتي أجمعت عليها الأمة في علم أصول الفقه، أو أصول التفسير، أو أصول الحديث، بـل يقرءونـه قـراءة معاصـرة تلغـي كـل القـراءات القديمة، ولا تستلهم إلا ذاتهـا وهواهـا؛ فتعـرض عن (المحكمات) وتتمسك (بالمتـشابهات)، وتـؤول (القطعيـات)، ولا تـؤمن بهـذا المبـدأ العظـيم: (إن

الأمـة في مجموعهـا معـصومة) ولا تجتمـع علـى ضلالة[1].

وبهذا يـصبح لكـل شـخص أن (يؤلـف) دينـاً علـى رأيـه ومزاجـه وهـواه، ولا يكـون ثمـة ديـن يجتمع ا لناس عليه، ويدينون به؛ إذ لـيس هنـاك أصول تضبط الافهام، وترد الشاردين إلى الـصواب، ويـسير في هـذا الـدرب كـثيرون مـن المغـرورين المتفقهين، الذين عبّدوا أنفسهم للغرب، وحرروها من الالتزام بالإسلام.

٣ـ الاتجاه الاعتذاري

وهو الاتجاه الذي يقدم الإسلام وكأنه في قفص اتهام، أمام مدعٍ يطالبه بـان تكـون فلـسفته كلـها، وقيمه كلـها، ومفاهيمـه كلـها، وتـشريعاته كلـها

---

(١) هذا المبدأ محل نقاش وأخذ ورد، وكتاب الله يؤكد إن الأكثريـة ليـست قياسـاً للإهتـداء وللحـق وللإيمـان: ﴿وَأَكْثَـرُهُمْ لِلْحَـقِّ كَـارِهُونَ﴾ ﴿وَمَـا أَكْثَـرُ النَّـاسِ وَلَـوْ حَرَصْـتَ بِمُـؤْمِنِينَ﴾ ﴿وَمَـنْ يَعْتَصِمْ باللَّهِ فَقَدْ هُدِيَ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾.

متماشية مع الغرب؛ فما خالف الغرب منها فلابد له من عذر، ولا مفر من البحث له عن مسوغ أو (مبرر)، ومن هنا وقف الكثيرون من قضية الحجاب في مجال المرأة، والطلاق وتعدد الزوجات في مجال الأسرة، والربا في مجال الاقتصاد، والجهاد في مجال العلاقات الدولية، وغيرها من القضايا الإسلامية الأصيلة موقف المحامي المدافع عن متهم تنتظره أقصى العقوبة!

وكثيراً ما ينزل هؤلاء عن هذا الموقف إلى موقف تبريري أضعف، يحاولون فيه تسويغ الأوضاع التي صنعها لنا الغرب، وفرضها علينا أيام سطوته الاستعمارية؛ بإعطائها سنداً شرعياً، وتغطيتها بفتاوى إسلامية؛ أي أنهم - كما قلت مرة - يُلبسون (الخواجة) الأوربي أو الأمريكي عمامة عربية إسلامية! وفي هذا من الضحك على النفس والتضليل للغير ما فيه.

مدرسة الاعتذار والتبرير كانت ظاهرة في النصف الأول من القرن العشرين، ولا يزال لها

صوت إلى اليوم؛ يتمثل في أولئك الذين يريدون أن يحللوا الربا وفوائد البنوك بمماحكات شرعية، وان يحللوا الخمر، أو يُسقطوا الحدود بمجادلات بيزنطية، ومثلهم الذين يريدون أن يخلعوا عن المسلمة حجابها بمثل هذا المراء العقيم.

٤ـ الاتجاه الافتخاري

وفي مقابل الاتجاه الاعتذاري يوجد هذا الاتجاه الافتخاري، الذي يتحدث عن الإسلام وتاريخه وحضارته بالأمس، وعن صحوته وحركاته اليوم، حديث المختال الفخور، الذي لا يرى إلا الأمجاد يسردها، والمناقب يعددها، مغفلاً العيوب والآفات والعاهات الدينية والأخلاقية والفكرية والحضارية التي أصابتنا بالأمس، حتى دمرت بنيان حضارتنا، ولا تزال تصيبنا اليوم بصورة أخرى، وفي مجالات أُخر، وعلى مستوى آخر، حتى غدونا في مؤخرة القافلة البشرية، نُنسب إلى العالم الثالث، أو الرابع لو كان هناك،

ونُحسب على البلاد التي جاملوها فسموها النامية!

ولا أريد أن نشعر بالدونية ولا نحقر أنفسنا؛ فنحن نملك المؤهلات والطاقات التي ترشحنا لأن نسود ونقود، لو أننا استخدمناها كما ينبغي، وكما أمرنا ديننا، وانتقلنا من القول إلى العمل، ومن الانفعال إلى الفعل، ومن الغوغائية إلى العلمية، ومن التقليد إلى التجديد، ومن الاغتراب - سواء كان مكانياً (أي عن أمتنا) أم زمانياً (أي عن عصرنا) - إلى الاصالة والإبداع.

عندنا القوة المادية، والقوة البشرية، والقوة التاريخية، والقوة الروحية، التي تعدنا لنكون شيئاً مذكوراً، لو حددنا الوجهة، وأخلصنا النية، وأعددنا العدة، ووحدنا الصف، وبدأنا السير، عازمين متوكلين على الله، مستفيدين من أخطاء الماضي، وزلات الحاضر، وتجارب الآخرين، ولكن ينبغي أن نقوم أنفسنا تقويماً عادلاً.

يمثل هذا الاتجاه بعض الدعاة العاطفيين للإسلام، ممن ينسبون إلى بعض الجماعات الدينية والإسلامية، ممن لم يتعمقوا في دراسة الإسلام وثقافته وحضارته وتاريخه، ولم يحيطوا علماً بما عند الآخرين، واعتبروا كل ما عندنا ورداً لا شوك فيه، وما عند الآخرين شوكاً لا ورد فيه؛ فظلت نظرتهم قاصرة؛ وان كانت سريرتهم طاهرة.

٥ـ الاتجاه الاختصاري

وهو الذي يريد أن يختصر الإسلام في العقيدة والعبادة، وان كان صورة بلا حقيقة، وشبحاً بلا روح، ويحذف من الإسلام كل ما يجعل منه رسالة لإصلاح المجتمع، وبناء الأمة، وهداية العالم، وتجديد الحياة.

وإذا كان اتجاه بعض المسلمين في الأزمنة الماضية (الزيادة في الإسلام) بالابتداع فيه، وهو مردود، فان كل بدعة ضلالة، فان اتجاه هؤلاء هو: الانتقاص من الإسلام؛ بإخراج بعض ما هو

من صلبه منه، وقد امتن الله تعالى علينا بإكمال هذا الدين، فقال تعالى: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾[1]، والكامل لا يقبل الزيادة عليه، ولا النقص منه.

هذا الاتجاه يريد الإسلام: عقيدة بلا شريعة، ودعوة بلا دولة، وسلاماً بلا جهاد، وحقاً بلا قوة، وعبادة بلا معاملة، وزواجاً بلا طلاق، ودِيناً بلا دنيا.

إن أصحاب هذا الاتجاه يريدون تحريف الإسلام وتحويله إلى ديانة جديدة، تحمل مضمون النصرانية وعنوان الإسلام.

فالنصرانية ليس فيها تشريع، ولا عقوبات، ولا معاملات ولا طلاق، ولا جهاد، ولا دولة أو حكومة، بل يقول أنجيلها: (دع ما لقيصر لقيصر، وما لله لله)، فقبلت قسمة الحياة، وقسمة الإنسان بين الله تعالى وبين قيصر؛ فالدين لله (أي للكنيسة

---

(١) المائدة: الآية ٣.

أو للسلطة الروحية)، والدنيا وشؤون الحياة لقيصر (أي للدولة، أو للسلطة الزمنية)، أما الإسلام فهو يقرر إن كل ما في الوجود فلله، فله ما في السموات وما في الأرض، ومن في السموات ومن في الأرض، ملكاً ومُلكاً، وقيصر وما لقيصر كله لله وحده.

هذا هو اتجاه دعاة العلمانية الذين لا يريدون أن يعلنوها صريحة بأنهم يرفضون الإسلام، كما نزل به القرآن وكما دعا إليه محمد ﷺ، وكما فهمه الصحابة وتابعوهم بإحسان، وعلماء الأمة في سائر القرون، بل يريدون أن يحرفوا الإسلام باسم الإسلام، والإسلام من دعواهم براء.

إن الإسلام رسالة شاملة: عقيدة وشريعة، وعبادة ومعاملة، ودعوة ودولة[1]، وحق وقوة، ودين ودنيا، وجهاد واجتهاد، وثقافة وحضارة، انه رسالة تصحب الإنسان في رحلة حياته كلها

---

(1) وإذا لم تكن الظروف الآن مؤاتية لإقامة دولة الإسلامية الحضارية الرائدة فلندعُ إلى "دولة الإنسان" و"دولة العدالة" كما يفعل ذلك الإسلاميون اللبنانيون الآن.

من المهد إلى اللحد، بل من قبل أن يولد، ومن بعد أن يموت، الإنسان جنيناً ورضيعاً وفطيماً، وصبياً وشاباً، وكهلاً وشيخاً، الإنسان رجلاً، والإنسان امرأة، الإنسان وحده، والإنسان في أسرة ومجتمع، الإنسان محكوماً، والإنسان حاكماً، والإنسان غنياً، والإنسان فقيراً، والإنسان في بادية، والإنسان في حاضرة...

وهو كذلك رسالة تصحب الإنسان في مجالات حياته كلها؛ تصحبه بالتشريع حيناً، وبالتوجيه أحياناً، ترسم له الطريق، وتحدد له المعالم، وتحذره من المزالق، في البيت، أو في المسجد، أو في الطريق، أو في المدرسة، أو المزرعة، أو المصنع، أو المتجر، أو المكتب، أو المحكمة، أو الديوان، أو في أي جانب من جوانب الحياة؛ فقد أنزل الله كتابه تبياناً لكل شيء، من رب كل شيء، كما قال سبحانه وتعالى لرسوله: ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ

تِبْيَانًا لِكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَى لِلْمُسْلِمِينَ﴾[1].

٦ـ الاتجاه الاشتجاري

وهو الاتجاه الذي يقدم الإسلام (مشتجراً) مع سائر الناس، معتركاً مع كل من يخالفه، ليس إسلام الرفق والتسامح، وليس إسلام الحوار والإقناع؛ فهو ينصب معركة مع غير المسلمين، بل مع المسلمين غير الملتزمين، بل مع الملتزمين المخالفين لرأيه، مع الحكام، مع الفن - كل الفن، ومع المرأة التي تلبس الخمار، لمَ لمْ تلبس النقاب؟ مع الذين لا يريدون رأيه في بعض مسائل العقيدة أو لا يقولون بقوله في بعض مسائل الفقه.

أصحاب هذا الاتجاه دائماً (في حالة حرب) مع غيرهم، شاهرون سيوفهم على من ليسوا أعداءً لهم في الحقيقة؛ فهم يقاتلون غير عدو، ويجاهدون في غير ميدان.

---

(١) النحل: الآية ٨٩.

همهم الأكبر إثارة الخلاف والجدل في الجزئيات، وشغل الناس بالجزئيات عن الكليات، وبالفروع عن الأصول، وبالشكل عن الجوهر، وبالمختلف فيه عن المتفق عليه.

صورة الإسلام الذي يقدمونه للناس لا تصلح إلا لبيئتهم المحدودة، لا تصلح رسالة عامة خالدة: للشرق وللغرب، للقرن الخامس عشر الهجري، أو القرن الحادي والعشرين الميلادي.

أنهم يقدمون الإسلام المقطب الوجه، العبوس القمطرير، الذي لا يعرف غير العنف في الدعوة، والخشونة في المجادلة، والغلظة في التعامل، والفظاظة في الأسلوب.

إنهم يقدمون الإسلام الجامد كالصخر، الذي لا يعرف تعدد الآراء، ولا يعترف بتنوع الاتجاهات، ولا يقر إلا بالرأي الواحد، والوجه الواحد، ولا يسمع للرأي الآخر، ولا للوجهة الأخرى، ولا يرى أحدهم إن رأيه صواب يحتمل الخطأ، وان رأي غيره خطأ يحتمل الصواب، انه

الإسلام الذي لا يكاد يرى في الإسلام إلا التشريع، ولا يكاد يرى في التشريع إلا الحدود والعقوبات.

أنهم يقدمون الإسلام الذي لا يعرف التسامح مع المخالفين في الدين، ولا يقبل الحوار، مع المغايرين في الفكر، ولا يأذن بوجود للمعارضين في السياسة، انه الإسلام الذي ينظر بريبة إلى المرأة؛ فهو يدعو إلى حبسها في البيت، وحرمانها من العمل، ومن المشاركة في الدعوة والحياة الاجتماعية، ومنعها من التصويت، بله الترشيح للمناصب.

أنهم يقدمون الإسلام الذي لا تعنيه العدالة في توزيع الثروة، ولا توكيد قاعدة الشورى في السياسة، ولا إقرار الحرية للشعب، ولا مساءلة اللصوص الكبار عما اقترفوه، لكنه يشغل الناس بالجدال في فرعيات فقهية، وجزئيات خلافية؛ في العبادات أو المعاملات، لا يمكن أن ينتهي فيها الخلاف.

أنهم يقدمون الإسلام الذي يتوسع في منطقة التحريم حتى يكاد يجعل الحياة مجموعة من المحرمات؛ فأقرب كلمة في ألسنة دعاة وأقلام كتابه كلمة "حرام".

إن الإسلام بهذه الصورة القاتمة السوداء، الذي يقدمه بها نفر من أبنائه – المخلصين غالباً في نياتهم، القاصرين في أفهامهم – لن يمكنه القيام بدور المنقذ أو الوارث للحضارة الغاربة أو التي توشك على الغروب.

٧ـ الاتجاه الحضاري

وهذا ما ينادي به اتجاه (الوسطية الإيجابية) التي تنظر إلى الإسلام باعتباره رسالة حضارية متميزة، رسالة ربانية الغاية، إنسانية المحتوى، عالمية الوجهة، أخلاقية المنهج، إيجابية المسلك، وسنتحدث عن هذه الرسالة – بعد قليل – بما يبين ملامحها، ويلقي شعاعاً على مقوماتها.

يعمل هذا الاتجاه جاهداً أن يُجند الأمة لجهاد كبير، يعيد إليها ذاتها، أو يعيدها إلى ذاتها، فتستفيد من أمسها، ملتفتة إلى يومها، متطلعة إلى غدها، جهاد همه البناء لا الهدم، والجمع لا التفريق، والعمل لا الجدل، والعطاء لا الثناء، والابتكار لا الاجترار ولا الافتخار، وشعاره: الرفق لا العنف، والتسامح لا التعصب، والتعاون لا التشاحن، يغالي هذا الاتجاه – أو هذا التيار – بقيمة ما لدنيا من رسالة، وما أقمنا من حضارة، وما عندنا من امكانات، ولكنه يعترف بأخطائنا القاتلة بالأمس، وانزلاقاتنا الماثلة اليوم، ولكنه لا يجعل من الحبة قبة، ولا يضخم (سلبياتها) حتى يوئيسنا من أنفسنا؛ فهو ينكر التهويل كما ينكر التهوين للواقع، مجتهداً أن يعطي لكل أمر ما يستحقه.

هذا الاتجاه مثله دعاة (الجامعة الإسلامية) من قبل: الأفغاني ومحمد عبده ورشيد رضا،

بأقدار متفاوتة، ومثله بعدهم دعاة الإصلاح والتجديد الإسلامي ...

والإسلام في نظر هذا الاتجاه ليس إسلام عصر من الأعصار، ولا إسلام قطر من الأقطار، ولا إسلام مذهب من المذاهب، ولا إسلام فئة من الفئات.

إن الإسلام المنشود هو الإسلام الأول؛ إسلام القرآن والسنة؛ سنة النبي محمد ﷺ وسنة الراشدين المهديين من بعده، إسلام التيسير لا التعسير، والتبشير لا التنفير، والرفق لا العنف، والتعارف لا التناكر، والتسامح لا التعصب، والجوهر لا الشكل، والعمل لا الجدل، والعطاء لا الادعاء، والاجتهاد لا التقليد، والتجديد لا الجمود، والانضباط لا التسيب، والوسطية لا الغلو ولا التقصير.

إسلام يقوم على عقيدة روحها التوحيد، وعبادة روحها الإخلاص، وعمل روحه الإتقان، وأخلاق روحها الخير، وآداب روحها الذوق،

وتشريع روحه العدل، ورابطة روحها الإخاء، وثمرة ذلك كله حضارة روحها التوازن والتكامل.

ولقد تحدثت عن هذا الاتجاه الحضاري أو التيار (تيار الوسطية) في أكثر من كتاب لي، وعن خصائصه المميزة له، وهي الجمع بين السلفية والتجديد، والموازنة بين الثوابت والمتغيرات، والحرص على استلهام التراث، ومعايشة الحاضر، واستشفاف واستشراف المستقبل، والفهم الشمولي المتوازن للإسلام، في ضوء فقه جديد، يشمل فقه سنن الكون، وفقه مقاصد الشرع، وفقه الموازنات، وفقه الأوليات، وفقه حقيقة الواقع، بعيداً عن التهوين والتهويل، وعن التجميد والتمييع والتجزئة لحقائق الإسلام ورسالته الجامعة، فمن أراد التفصيل فليرجع إليه هناك.

مصادر البحث

القرآن الكريم لرب العالمين

١- نهج البلاغة لأمير المؤمنين عليه السلام.

٢- الصحيفة السجادية لعلي بن الحسين عليه السلام.

٣- بحار الأنوار للمجلسي.

٤- صحيح البخاري للبخاري.

٥- صحيح مسلم لمسلم.

٦- مسند احمد بن حنبل.

٧- سنن الدارقطني.

٨- السنن الكبرى.

٩- سنن ابن ماجة.

١٠- سنن البيهقي.

١١- سنن النسائي.

١٢- سنن أبي داود.

١٣- سنن الدارمي.

١٤- كنز العمال للمتقي الهندي.

١٥- وفاء الوفا للسمهودي.

١٦- الدر المنثور.

١٧- الموطأ لمالك.

١٨- العلل ومعرفة الرجال.

١٩- فضائل الصحابة.

٢٠- دلائل النبوة للاصبهاني.

٢١- وسائل الشيعة للحر العاملي.

٢٢- حياة الشيخ الأنصاري/طبع مركز المصطفى صلى الله عليه وآله وسلم.

٢٣- كنز الفوائد لأبي الفتح الكراجكي.

٢٤- الجامع الصغير لجلال الدين السيوطي.

٢٥- تطهير الاعتقاد من أدران الإلحاد للصنعاني.

٢٦- التوحيد وشرحه فتح المجيد لحفيد الشيخ محمد عبد الوهاب.

٢٧- كشف الارتياب للسيد محسن الأمين.

٢٨- منهج الرشاد للشيخ جعفر كاشف الغطاء.

٢٩- الرد على الوهابية للشيخ محمد جواد البلاغي.

٣٠- دعوة الهدى إلى الورع في الأفعال والفتوى للشيخ البلاغي.

٣١- عقائد الإمامية للشيخ محمد رضا المظفر.

٣٢- هذه هي الوهابية للشيخ محمد جواد مغنية.

٣٣- الإمام البغدادي والوهابية للسيد علي البغدادي.

٣٤- روح التوحيد للمرجع القائد السيد علي الخامنئي.

٣٥- الوهابية في الميزان للشيخ جعفر السبحاني.

٣٦- ١٠٠ سؤال وجواب للعلامة المرجع السيد فضل الله الحلقة (١٧).

٣٧- شهيد الأمة وشاهدها للشيخ محمد رضا النعماني.

٣٨- ثورة الفقيه ودولته إعداد وحوار(حميد حلمي زادة).

٣٩- مقدمة المحامي المحقق توفيق الفكيكي لكتاب(الهدى إلى دين المصطفى) للشيخ البلاغي.

٤٠- التبشير والاستعمار في البلاد العربية للدكتور مصطفى خالد والدكتور عمر فروخ.

٤١- بحث بعنوان (الملامح العامة لمنهج الشيخ البلاغي في نفد الفكر الديني) لثامر النصراوي.

٤٢- كتيب (خطب ومواعظ في حجة الوداع) لعبد الرزاق البدر.

٤٣- الصواعق الإلهية في الرد على الوهابية لسليمان بن عبد الوهاب.

٤٤- النصوص الصادرة عن سماحة السيد السيستاني في المسألة العراقية/إعداد حامد الخفاف.

٤٥- الأرض والتربة الحسينية للشيخ محمد حسين كاشف الغطاء.

محتويات البحث

الموضوع	الصفحة
الإهداء	٣
توطئة وتقديم	٥
اضاءات وتذكير	١٢
العلامة البلاغي والوهابية(صلب البحث): أساليب وأهداف تتغير بتغير الظروف والبداية التي أطلقت شرارة الفكر الوهابي.	٢٢
١- توحيد الله في العبادة	٣٦
٢- زيارة القبور	٤٠
٣- توحيد الله في الأفعال	٥٣
٤- البناء على القبور	٦١
٥- الصلاة عن القبور، وإيقاد السراج عليها	٦٧
٦- الذباح والنذور	٧١
خاتمة المطاف	٧٧
موجز ملحق للشيخ القرضاوي	٨٦
المصادر	١٠٩
المحتويات	١١٣